جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

سمت البيـان
في سؤال جبريل وجواب النبي
ـ عليه الصلاة والسلام ـ

الدكتور
فتحي جلال أحمد أحمد
مدرس البلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية بأسيوط

العدد الثامن عشر
للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
الجزء السادس
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ،،،

فالحديث النبوي نص أدبي فى الذروة من البيان ، ولا يرتفع فوقـــه فـــى مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة ، وفصاحة ، وروعة " . [١]

هذا وإذا كان " أسلوب الحديث النبوي يمتاز بالجزالة والوضوح ، والدقة فى الوصف والتعبير ، والإبداع فى التشبيه والتصوير ، والموسيقى الرائعة فـــى الألفاظ ، والإيجاز فى القول ومجانبة التكلف " [٢] ، فإن فى معانيه من الصـــفات التى قلَّ أن تجتمع فى كلام سواه ، كالغنى فى الأفكـــار ، والعمـــق ، والجـــدّة ، والإحكام [٣] ، ورحم الله الرافعي إذ يقول : " إنه كلام كلمـــا زدتـــه فكـــراً زادك معنى"[٤] .

كذلك ــ أيضاً ــ من السمات التى تتسم بها معاني الحديث النبـــوي أنهـــا "تغوص فى أعماق النفس الإنسانيـــة ، وتؤثر فيها تأثيراً قوياً "[٥] هذا بالإضـــافة إلى أنها معان إنسانيـــة لم تقيد بظرف الزمان ، ولا ظرف المكان ، فلم ينظر فيها

---

(١) التصوير الفني فى الحديث النبوي ، د/ محمد الصباغ ، ص:٢٠ ، ن : المكتب الإســـلامي بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـــ / ١٩٨٨م .

(٢) السابق : ص ٢٤ .

(٣) السابق : ص ٢٣ .

(٤) وحي القلم . مصطفى صادق الرافعي ، ٣ / ٩ ، ن : دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٥) التصوير الفني فى الحديث النبوي ، د/ الصباغ ، ص : ٢٤ .

إلى العرب وحدهم ، ولا إلى الناس فى زمن النبوة فحسب ، ولا إلى جزيرة العرب وحدها ، ولا إلى طبقة دون طبقة ، وإنما كانت هذه المعاني تنظر إلى الإنسان من حيث هو إنسان " . (١)

هذا والحديث الذى معنا وإن كان واحداً من سمت (٢) بيانه الذى اتسم بكل ما سبق ذكره إلا أن لـه سمتـاً خاصًا رغـم وضوحـه...كبنـاء لغتـه علـى الحـوار الذى هو من أبرز أهدافه " ... تحقيق الإقناع بفكرة ما...، ولـيس هناك أجدر من توخي طرق محكمة من النظم لتحقيق التقرير والإقناع ... "(٣) .

هذا بالإضافة إلى أنه لون من الحوار الخاص الـذى اتسم بتنوع أساليبه، وطرق تعبيره ، وتجديده ، وجمعه ـ ﷺ ـ فى الأسلوب الواحد بين ما تنوع من فنون البلاغـة المختلفـة .

---

(١) السابق : ص ٢٣ .

(٢) " السمت : الطريـق الواضـح .. "(*) ، " ... وسمت الطريق قصده "(**) وأبو تمام ذو ميسم أي : "له طريق وله سمت بنفسه" ، وذلك يعني : " تفرده بطبع وطريق ومنهج ... ، وكلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن كان وحياً فإن له ميسمًا وسـمتًا خاصًـا يظهر على كلامه كله (***) .

(*) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٢٢٠ سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(**) لسان العرب لابن منظور ، مادة (س م ت) تحقيق عبدالله علـي الكبيـر وآخـرين طبعة دار المعارف .

(***) شرح أحاديث من صحيح البخاري ، دراسـة فـي سمت الكلام الأول ، أ.د/ محمد أبو موسى ص ٤٨ ، ٤٩ . ن : مكتبة وهبه الطبعة الثانية ٢٠٠١م .

(٣) الحوار فى الحديث النبوي تراكيبه وصوره ، د/ عيد محمـد شـايك ، ص : ٩ ن : دار حراء القاهرة .

هذا ولم أجد عند من سبقني إلي الدراسة البلاغية فى هذا الحديث من سلك فى دراسته ذلك المسلك، بل اتجهت عنايتهم إلى سرد خصائصه البلاغية شرحاً ، وتوضيحاً ، وتفصيلاً ، وإبانة فى ضوء ما ورد من النظم [١] ، اللهم إلا ما كان من سمة هنا [٢] ، أو إشارة هنالك [٣] .

كما لم أسلك مسلك الخطيب فى تقسيمه وتبويبه ، بل جاء ترتيب مباحثه وفق ما انبثق من أسئلة جبريل وأجوبة النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

وبناءً عليه فقد جاء البحث فى مقدمة ، ومدخل ، وثمانية مباحث ، وخاتمة : ــ

ــ أما **المقدمة** : فقد عرضت فيها إلى منزلة البيان النبوي من البيان ، بالإضافة إلى ما اتسم به ــ على سبيل العموم ــ من سمات قلما توجد فى بيان أحد من البشر ، فضلاً عما تفرَّد به ذلك البيان فى الحديث الذي معنا من سمت خاص .

ــ أما **المدخل** : فقد اشتمل على بلاغة الحوار في الحديث .

---

(١) ينظر : أسلوب الحوار فى صحيح البخاري خصائصه التركيبية وصوره البيانية وأثره فى تجليه المعنى ، للباحث / بدر عبد العال أبو صغير ، ص:٦٨ وما بعدها ، " رسالة دكتوراه " مخطوط بمكتبة كلية اللغة العربية بأسيوط رقم ١٩ ، بلاغة النظم فى الحديث المروى فى صحيح مسلم ، للباحث / عبد الباقي حسن ، ص٤٩ ، " رسالة دكتوراه " مخطوط بمكتبة كلية اللغة العربية بأسيوط رقم ٣٧ ، شرح أحاديث من صحيح البخاري أ.د/ محمد أبو موسى ، ص : ٢٢١ .

(٢) كإشارته إلى اشتماله على الحقيقة المجردة بعيداً عن الصورة الأصيلة . ينظر: بلاغة النظم فى الحديث النبوي ، د/ عبد الباقي حسين ، ص : ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) كإشارته إلى بُعد غوره مع وضوح ألفاظه ، فضلاً عما بين كل سؤال جواب، ولاحقه من التناسب . ينظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٢١ ، ٢٢٦ وما بعدها .

ـ أما **المبحث الأول** : فقد اشتمل على سمت البيان فيما بنى عليه ذلك الحوار من سؤال جبريل وجواب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

المبحث الثاني : سمت البيان فيما اقتبس النبي ـ ﷺ ـ من آي القرآن .

المبحث الثالث : سمت البيان فيما اتسم به جواب النبي ـ ﷺ ـ من استيفاء الأقسام .

المبحث الرابع : سمت البيان فيما أشكل فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز .

المبحث الخامس : سمت البيان فى تكرار ما جاء من سؤال جبريل وجواب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

المبحث السادس : سمت البيان فيما تقدم من ذكر سؤال جبريل وجواب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

المبحث السابع : سمت البيان فيما أوجز وأطنب من سؤال جبريل وجواب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

المبحث الثامن : سمت البيان فيما تناسب من سؤال جبريل وجواب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التى انتهى إليها البحث .

وإليك الإبانة عن تلك المباحث بعد ذكر روايتي الإمامين البخاري ومسلم ـ رضى الله عنهما ـ .

أولاً : **رواية الإمام البخاري** :

" حدثنا مسدد قال ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : كان النبي ــ ﷺ ــ بارزاً يوما للناس ، فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث ، قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال: ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : متى الساعة ؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربها ، وإذا تطاول رعاة الإبل إبلهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهم إلا الله ، ثم تلا النبي ــ ﷺ ــ : " ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [١] ، ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئاً فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ، قال أبو عبد الله جعل ذلك كله من الدين " . [٢]

ثانياً : **رواية الإمام مسلم** (**ت٢٦١هـ**) :

عن عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال : " ... حدثني أبى عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ــ ﷺ ــ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ــ ﷺ ــ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد : أخبرني عن الإسلام ، فقال ــ ﷺ ــ الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ،

---

(١) سورة لقمان : ٣٤ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبدالعزيز بن باز ١ / ١١٤ ، ن : دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان .

وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت ، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال فأخبرني عن الإيمان ، قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت ، قال فأخبرني عن الإحسان، قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال ما المسئول عنه بأعلم من السائل ، قال فأخبرني عن أمارتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون فى البنيان ، قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال : يا عمر أتدري من السائل ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " . (١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١ / ١٥٦ وما بعدها : ن : المكتبة المصرية .

مدخل إلى بلاغة الحوار فى الحديث

الذى لاشك فيه أن الحوار سمة شائعة فى الحديث النبوي الشريف ، كما أنه سمة بديهة [١] ــ أيضاً ــ ؛ " ... لأنه حديث نبي إلى قومه ، يعلمهم ، ويجيب أسئلتهم ، ويصحح أخطاءهم ، ويلبي دعواتهم ، ولذا فإنه من العسير أن نجد حديثاً شريفاً لا تتوافر فيه هذه السمة فى الوقت الذى لا تكاد هذه السمة أن توجد فى الحديث الموضوع المكذوب " . [٢]

ــ أما الحوار فى الحديث الذى معنا فهو الحوار الذى "يمكن أن نطلق عليه الحوار التعليمي ... " [٣] ، كما أنه ــ أيضاً ــ " ... فرد فى بابه ؛ لأنه ليس حواراً بين الرسول والصحابة ، ولا هو حوار بين الرسول وأحد من البشر ، وإنما هو حوار طرفاه خاتم الرسل محمد ــ ﷺ ــ والروح الأمين جبريل ــ عليه السلام ــ ، جبريل يتولى توجيه السؤال ، والرسول ــ ﷺ ــ يجيب فى دقة وبلاغة ، ووضوح ، وإيجاز " . [٤]

---

(١) ينظر : بناء الجملة فى الحديث النبوي الشريف فى الصحيحين ، د/ عودة خليل أبو عودة، ص : ٦٤١ ، ن : دار البشير الأردن ــ عمان ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
(٢) السابق : ص ٦٤١ ، ٦٤٢ .
(٣) البيان المحمدي ، د/ مصطفى الشكعة ، ص : ٩٥ ، الدار المصرية اللبنانية .
(٤) السابق : ص٩٥ .

المبحث الأول

سمت البيان فما بُنى عليه ذلك الحوار من سؤال جبريل وجواب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ

أول ما يطالعنا في هذا المقام هو أن سؤال جبريل ــ عليه السلام ــ قد جاء بأداتين من أدوات الاستفهام : ــ

الأداة الأولى : " ما " ، والسؤال بها عن الحقيقة والماهية [١] ، كما هو مقرر فى تراث أهل العلم [٢] ، وقد جاء السؤال بها فى ثلاثة مواضع :

الأول : فى السؤال عن حقيقة الإيمان فى قوله ــ عليه السلام ــ : ما الإيمان ؟

الثاني : فى السؤال عن حقيقة الإسلام فى قوله ــ عليه السلام ــ : ما الإسلام ؟

الثالث : فى السؤال عن حقيقة الإحسان فى قوله ــ عليه السلام ــ : ما الإحسان ؟

والاستفهام كما هو معلوم هو طلب العلم لشيء مجهول[٣] وما كان لأمين

---

(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٩ .

(٢) ينظر : الإيضاح للخطيب القزويني ــ متن البغية ــ تحقيق الشيخ عبد المتعال الصعيدي ٢٥٥/٢ ، ن : مكتبة الآداب بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٩م ، المطول لسعد الدين التفتازاني ، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي ٤١٦ ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

(٣) وهو الاستخبار الذى هو عند ابن فارس : " طلب خبر ما ليس عند المستخبر " . الصحابي لابن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ٢٩٢ ، عيسى الحلبي ، وينظر : المعجم المفصل فى علوم البلاغة ، د/ إنعام نوال عطاوي ١٢٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

الوحي ليجهل هذه الحقائق حتى يسأل عنها ، فهو الذى كان يقول للنبي ــ ﷺ ــ إثر كل جواب " صدقت " كما فى رواية الإمام مسلم ، وهو الذى عجب الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ من سؤاله وتصديقه ، بل وهو الذى قد جاء للدين معلماً كما نص عليه سيدنا ومولانا رسول الله ــ ﷺ ــ فى أخر الحديث فى قوله : " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " (١) ، وإنما نُزل منزلة من لا يعلم هذه الحقائق تعليماً للسامعين .

يقول ابن حجر : " ... ويستنبط منه جواز سؤال العالم ما لا يجهله السائل ليعلمه السائل " . (٢)

الأداة الأخرى : " متى " ويسأل بها عن الزمن (٣) ، وما كان لأمين الوحي ــ عليه السلام ــ ليجهل استئثار الله بوقت وقوعها حتى يسأل عنه ، بل المقصود من هذا السؤال كما يقول القرطبي (٤) : هو كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة لأنهم قد أكثروا السؤال عنها .

ومن سمت البيان فى هذا المقام هو اختلاف السؤال تبعاً لاختلاف المسئول عنه ، فلم يقل ــ عليه السلام ــ وما الساعة؟ إذ ليس للسؤال بها ههنا موضع ؛ ذلك أنه ــ عليه السلام ــ يعلم علم اليقين استئثار الله بوقت وقوعها ، وإذا كان ذلك كذلك فإن خفاء حقيقتها التى لا يعلمها إلا الله وما يجري فيها من أهوال أولى وأحرى .

---

(١) راجع هذا فى رواية الإمام مسلم .

(٢) فتح الباري ١ / ١١٩ .

(٣) ينظر : الإيضاح متن البغية ٢ / ٢٥٩ .

(٤) ينظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم القرطبي ، تحقيق / يحيى الدين ديب وآخرين ، ١ / ١٥٤ ، ١٥٥ ، دار ابن كثير دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، فتح الباري لابن حجر ١/١٢١.

يقول القرطبي [١] : " مقصود هذا السؤال كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة لأنهم قد أكثروا السؤال عنها ... فلما حصل الجواب بما ذكر هنا حصل اليأس من معرفتها بخلاف الأسئلة الماضية ، فإن المراد بها استخراج الأجوبة ليتعلمها السامعون ويعملوا بها " ، ويضيف : " ونبه بهذه الأسئلة على تفصيل ما يمكن معرفته مما لا يمكن " .

وأما الأمر الآخر فيتمثل فيما طابق فيه جواب النبي ـ ﷺ ـ سؤال جبريل ـ عليه السلام ـ ، والذي لا شك فيه أن " ... الأصل فى الجواب ـ كما يقول الزركشي ـ أن يكون مطابقاً للسؤال إذا كان السؤال متوجهاً .. " [٢] ، كما ذكر ـ أيضاً ـ : أن " ... الأصل فى الجواب أن يكون مشاكلاً للسؤال ، فإن كان جملة اسمية فينبغي أن يكون كذلك ... " ، ولا يعدل عن هذا الأصل وسابقه إلا لغرض .. [٣]

وقد بدا ذلك فى الحديث الذى معنا من جهتين :

الأولى : من جهة العدول عن عموم السؤال إلى خصوص الجواب ، أو قل إن شئت من جهة العدول عن المصدر الصريح إلى المؤول فى بناء الجملة...[*]

---

(١) السابق ١ / ١٥٤ ، ١٥٥ ، فتح الباري لابن حجر ١/ ١٢١

(٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ٤ / ٤٦ ، دار المعرفة بيروت .

(٣) السابق ١ / ٤٧ .

(*) وهذا من سمت البيان الذى أعانه عليه النشأة اللغوية ، فقد نشأ فى قريش ، واسترضع فى بني سعد بن بكر ، ولقد كان فى قريش وبنى سعد ما يقوم بالعرب جملة . ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، للرافعي ، تحقيق / عبد الله المنشاوي ، ٢٣٧ ، ن : مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

يقول ابن حجر : " فإن قيل السؤال عام لأنه سأل عن ماهية الإسلام والجواب خاص لقوله : أن تعبد ، أو تشهد ، وكذا قال فى الإيمان : " أن تؤمن به " ، وفى الإحسان : " أن تعبد " ؟ والجواب أن ذلك لنكتة الفرق بين المصدر وبين أن والفعل؛ لأن أن تفعل تدل على الاستقبال والمصدر لا يدل على زمان"[١].

كما يذكر العلامة الهروي عن بعض أهل العلم أن ذلك العدول هو الملائم لقصد التعلم ، فيذكر ما نصه : " وقيل الأولى فى الجواب أن يقال : القصد التعليم هو إنما يتعلق بالأمور المستقبلية فلذلك عدل عن المصدر المناسب للسؤال إلى ما يدل على الاستقبال ... " [٢] ، كما أن فى " ... العدول عن المصدر المفيد للعلم إلى المضارع المقتضي للعمل إيماءً إلى أنه لا يكفي مجرد المعرفة من غير أن يخرج من القوة إلى الفعل " [٣] ، ويضيف إلى هذا ما هو ألصق بما نحن بصدده فيقول : " وبنحو هذا العدول يعلم بلوغ غايته إلى أعلى الغايات وأعلى النهايات"[٤] ويزداد الأمر وضوحاً عنده فى قوله : " وإيراد الفعال المضارعية لإفادة الاستمرار التجددي لكلٍّ من الأركان الإسلامية ففي التوحيد المطلوب الاستمرار الدائم مدة الحياة ، وفى الصلاة دونه ، ثم فى الصوم والزكاة دونها .. " [٥] ، وهكذا .

وما قيل فى هذا يجري ــ أيضاً ــ على كل من الإيمان والإحسان ، فلا يكفي فيهما مجرد المعرفة فقط ، بل المراد أن يتجدد ذلك الإيمان ويستمر فى كل

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٩ .
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، الهروى ١ / ٥٤ ، ن : دار الفكر بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ / ٢٠٠٢م .
(٣) السابق ١ / ٥٤ .
(٤) السابق ١ / ٥٤ .
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، الهروى ١ / ٥٤ .

يوم ، بل فى كل ساعة ، بل فى كل لحظة ، وكذلك الإحسان إلى أن يرتقى العبد فيصل بذلك إلى أعلى الدرجات فى مدارج الطاعة ومنازل المقربين .

الثانيـة : من جهة العدول عما يقتضيه معنى العبارة فى الظاهر ، وذلك أن ظاهر معنى العبارة يقتضي أن يكون الجواب عن حقيقة معنى الإيمان الذى سئل عنه هو التصديق [١] ، لكنه ـ ﷺ ـ عدل عن هذا فأجاب عن متعلقاته ؛ لأنها الأحق بالتعلم ولأن التصديق فى ضمنها .

يقول الهروى : " ... واستشكلت ـ أي رواية ما الإيمان؟ ـ بأن " ما " للسؤال عن الماهية ، فالجواب غير مطابق ، ورد بأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ علم منه أنه إنما سأل عن متعلقات الإيمان ؛ لأنها الأحق بالتعلم ، ولأن التصديق فى ضمنها ". [٢]

وهذا مما يدخله فى الأسلوب الحكيم الذى هو " ...تلقى السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له " . [٣]

لكن كونه ـ ﷺ ـ يعلم أنه سئل عن متعلقات الإيمان لا عن معنى لفظه فيجيب عما سئل عنه بما علم ففي هذا دلالة على أن الجواب قد طابق السؤال ، وليس من باب تلقي السائل بغير ما يتطلب كما يقول ابن يعقوب . [٤]

ومما يؤيد هذا قول ابن حجر : " دل الجواب أنه علم أنه سأله عن متعلقات الإيمان لا عن معنى لفظه ، وإلا لكان الجواب الإيمان هو : التصديق " . [٥]

---

(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٧ .
(٢) مرقاة المفاتيح ١ / ٥٦ .
(٣) الإيضاح متن البغية ١ / ١٤٥ .
(٤) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ، ابن يعقوب المقربى ١ / ٤٨٣ ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
(٥) فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٧ .

وهذا من سمت البيان الذى لا يجتمع لغيره ــ ﷺ ــ فى هذه اللغة .

أما بالنسبة للجواب عن الساعة فقد اختلف تبعاً لاختلاف حال السائل :

ففي سؤال جبريل : " متى الساعة " ؟ كان الجواب : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ...

وفى سؤال الأعرابي " متى الساعة " ؟ كان الجواب : ما أعددت لها...[١]؟ ، فأعرض عن الجواب عن الساعة إلى ذكر الاستعداد لها لأنه هو المأمور به ، وهو الذى يعني السائل وغيره ، وينبغي الاهتمام به ، وأما جبريل فالظاهر ــ والله أعلم ــ أنه أراد بسؤاله عن الساعة إظهار انفراد الله بعلمها دون خلقه حتى ينقطع السؤال عنها " . [٢]

وفى سؤال مشركي قريش : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [٣] ، كان الجواب : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ... ﴾ [٤] ، فهو سبحانه " يلفتهم عن السؤال هكذا عن موعدها إلى الاهتمام بطبيعتها وحقيقتها ، وإلى الشعور بهولها وضخامتها ، ألا وإن أمرها لعظيم ، ألا وإن عبئها لثقيل ، ألا وإنها لتثقل فى السموات والأرض ، وهي بعد ذلك لا تأتي إلا بغتة والغافلون عنها غافلون " . [٥]

---

(١) ينظر : الحديث فى فتح الباري لابن رجب الحنبلي ٤٩/٧، ط : دار المعرفة بيروت ١٣٩٧هـ .

(٢) فتح الباري لابن رجب الحنبلي ١ / ٢١٦ ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

(٣) سورة الأعراف : ١٨٧ .

(٤) سورة الأعراف : ١٨٧ .

(٥) فى ظلال القرآن ، للأستاذ / سيد قطب ٣ / ١٤٠٩ ، ن : دار الشروق ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

من هذا وسابقه يتبين أمران :

الأول : أن جواب الساعة على اختلاف وروده من باب الأسلوب الحكيم الذى هو تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له. (١)

والذى لاشك فيه " ... أن هذا الضرب من البلاغة ألطف فى الرد وأكرم للمخاطب ، وأدل على ذوق المجيب ؛ إذ يحمل المخاطب على الرجوع إلى نفسه ومقارنة السؤال بالجواب ، واستنباط الكلمة من المفارقة حتى يوحي إليه التظليل أن السؤال المقدر كان هو الأجدر ، والنفس إذا استشعرت الفائدة من التوجيه والنصح وما يصحبهما من تلطف أقبلت على فعله والتزامه راضية غير مملولة". (٢)

الآخر : أن جواب الإيمان وكذلك الإسلام والإحسان ، مما يحتمل أمرين :

أ ــ أن يكون الكلام جارياً على مقتضى الظاهر ، وذلك بناءً على أنه ــ عليه السلام ــ سئل عن متعلقات الإيمان فأجاب بما سئل عنه .

ب ــ أن يكون الكلام جارياً على خلاف مقتضى الظاهر ، وذلك أنه سئل عن حقيقته ــ بناء على عدم معرفته به ــ فأجاب ببيان متعلقه .

والذى لاشك فيه أن جرى الكلام على هذا وسابقه من سمت البيان الذى تفرد به ــ ﷺ ــ فى هذه اللغة ، والذى لم يتيسر لأحد من البشر .

---

(١) الإيضاح متن البغية ١ / ١٤٥ .

(٢) الحوار فى الحديث النبوي تراكيبه وصوره ، د/ عيد شيايك ١٢٦ .

المبحث الثاني

سمت البيان فيما اقتبس النبي ـ ﷺ ـ من آي القرآن

ذكر بعض الدارسين المحدثين أن جواب النبي ــ ﷺ ــ عما سئل عنه من الإيمان مقتبس من قولــه ــ تعالى فى آخر البقرة : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ... ﴾ (١) ، ولا عجب فــى هذا ، ذلك أن " ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه ، فهي وإن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت مــن ســبيله ، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله كما يقول الرافعي (٢) ــ رحمــه الله ــ .

وهذا إن دل فإنما يدل فوق " الإلهام والتعليم والتلقي مــن الله " ، علــى "تأثر النبي ــ ﷺ ــ بالقرآن الكريم فى بيانه المعجز ، وهذا التأثر فى الواقع خط مشترك بين الأدباء والشعراء العرب إلا أنه أبين وأظهر فى الرسول ــ ﷺ ــ لأنه أبلغ الناس " . (٣)

ورغم أن النبي ــ ﷺ ــ قد أخذ جوابه هذا من قولــه ــ تعالى الســالف الذكر إلا أن " الآية الكريمة لم تذكر اللقاء والبعث المذكورين فى الحــديث ، لأن الآية لها سياق آخر هو الإخبار بإيمان الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، والحديث ليس إخباراً عن الذين آمنوا ، وإنما هو شرح لحقيقة الإيمان ، فذكر ما

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ . وينظر : فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٨ ، وينظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري ولأبو موسى ٢٢٩ .
(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ٢٣٣ .
(٣) السمات البلاغية فى بيان النبوة، د/ صباح عبيد دراز، ص:١٥،١٤، ن: مكتبة وهبة .

به يتم الإيمان ، فلما جاء عند اللقاء وضع علامة بيانية وكذلك عند البعث ، لأن الإيمان بهما هو باعث القلب نحو التوجه إلى صالح الأعمال ، وهو الحادي الذى يحدو على صراط الله المستقيم " . (١)

ـ ولم يكن هذا هو الموضع الوحيد الذى اقتبسه النبي ـ ﷺ ـ من القرآن فى هذا الحديث ، فقد اقتبس فى جوابه عن حقيقة الإسلام ـ على نحو ما جاء فى رواية الإمام البخاري ـ رضى الله عنه ـ : " أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا " ، وذلك فيما أحسب ـ مأخوذ من قوله ـ تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ (٢) .

ـ وقوله : " وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة " مأخوذ من قوله ـ تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (٣) .

ـ وقوله ـ ﷺ ـ : " وتصوم رمضان " مأخوذ من قوله ـ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤) .

ـ وقوله ـ ﷺ ـ : " وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " كما فى رواية الإمام مسلم ـ رضى الله عنه ـ : مأخوذ من قوله ـ تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (٥) ، وفرق بين المقتبس والمقتبس منه ؛ ذلك أن ما جاء فى الحديث إنما هو شرح لتلك الحقيقة التى تعبدنا الله بها ،

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري ، د/ أبو موسى ٢٢٩ .
(٢) النساء : ٣٦ .
(٣) البقرة : ١١٠ .
(٤) البقرة : ١٨٣ .
(٥) آل عمران : ٩٧ .

أما الآيات فقد جاءت فى سياق الأمر الذى يحمل معنى التكليف والإلزام ، حتى إن ما جاء منها بلفظ الخبر لا يخرج عن تلك الإفادة كما فى أيتي الصيام والحج ، وبناءً عليه فكأن ما جاء فى الحديث إنما هو شرح لتلك الحقيقة التى تعبدنا الله بها .

ـ هذا ولم يكن النبي ـ ﷺ ـ ليأخذ المعنى بلفظه فى كل موضع يقتبس منه ، بل إنه ـ ﷺ ـ ليسوق المعنى فى عبارة أخرى حتى تبدو وكأنها جديدة فى بابها .

يلحظ هنا فيما أجاب به ـ ﷺ ـ عن الساعة فى قوله: " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " ، والذى يلاحظ أنه متضمن معنى قوله ـ تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [١] ولكن هذه العبارة وهي " ما المسئول عنها ... إلخ " ، " ... من كلماته ـ عليه السلام ـ التى جرت فى معناها بلفظه ، ولم يقع الناس على لفظ أحكم من لفظه ، ـ وأنَّى لهم ـ فتناقلوه ، وصارت حقيقة من حقائق العلم أن تقول : " لا أعلم " أو أن تقول : " لا أدري " وفى متون العلماء ـ من قال لا أدري فقد أجاب ـ " . [٢]

ولم يكن هذا هو الموضع الوحيد الذى أبدع فيه النبي ـ ﷺ ـ فى بيانه وتركيبه ، بل إنه ـ ﷺ ، قد " ... اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله ، ولم توجد فى متقدم كلامها ، وهي تعدُّ من حسنات البيان " . [٣]

---

(١) الأعراف : ١٨٧ .
(٢) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٨ .
(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٦٢ .

من هذا وسابقه يتبين أن الرسول ــ ﷺ ــ قد جمع فى اقتباسه هذا بين إتباع القرآن وإبداع الحديث [١] :

أما **الأول** فذلك ما يبــدو فى جوابى الإيمان والإسلام والذى تجــد أكثــر ألفاظ القرآن يجرى فى ألفاظ الحديث ، ولا عجب فى هذا فو الذى نزل به الــروح الأمين على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين .

وأما **الآخـر** فهو وإن بدا واضحاً فيما أجاب به عما سئل عنه مــن قيــام الساعة ، فإننا لا نعدم رائحته ــ أيضاً ــ فيما أجاب به ــ أيضاً ــ عن الإسلام ، وذلك لعدوله عن الأمر إلى الخبر فى البيان النبوي ؛ لأن المقــام مقــام تعلــيم ، والأمر فيه صعوبة على النفس .

على أنك لا نعدم رائحة الإبداع ــ أيضاً ــ فيما أجاب به عــن الإيمــان ؛ وذلك أن القرآن يخبر والحديث يشرح ويوضح ويبين ، بل ويؤكد [٢] ذلك البيــان الذى سبق إليه .

---

(١) هذا والذي لا شك فيه أن كلامه ــ ﷺ ــ وإن كان وحياً وإلهاماً من الله فإن " ... الــوحي في كلامه ــ ﷺ ــ لا يمنع أن يكون لكلامه وسم يعرف به ، وخصوصية تدل عليه ، لا من جهة طابع النبوة الذي هو ظاهر جداً في كلامه ــ ﷺ ــ وإنما من جهة ما يتميز به الكــلام وما يكون له به سمت وطريق ومذهب ؛ لأن الوحي معنى يلقى في روعــه ــ ﷺ ــ كمــا تلقى المعاني في الصدور ، ثم يحدث عنه ــ ﷺ ــ بيانه وطريقه ومذهبه ، كما يُحدث كــل من وجد معنى في نفسه بحديثه الذي فيه طابعه ومذهبه " .
شرح أحاديث من صحيح البخاري د/ أبو موسى ص ٥٠ ، ٥١ .
ويقول الرافعي بعدما يورد من مبتكرات النبي ــ ﷺ ــ " وكل ذلــك مــن الأوضــاع التــي ابتدعها أفصح العرب ــ ﷺ ــ في هذه اللغة ابتداء ، ولم تسمع من أحد قبله " .
إعجاز القران والبلاغة النبوية ص ٢٧٦.

(٢) ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، د/ كمال عز الــدين ، ص١٣ ، ن : دار اقرأ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

ـ وههنا أمر ينبغي التنبيه إليه ، وهو أن النبي ـ ﷺ ـ وإن أبدع فـى بيانه ما أبدع إلا أنه لا يستوى مع البيان الإلهي المعجز ؛ ذلك أنك لو " ... قرنت كلمة من تلك البلاغة إلى مثلها مما فى القرآن رأيت الفرق بينهما فـى ظـاهره كالفرق بين المعجز وغير المعجز سواء بسواء ... " . (١)

وليس هذا مما " ... يدرك منه رائحة الانتقاص للبيان النبوي فى شيء ؛ إذ إن بيان محمد ـ ﷺ ـ شعاع من شمس القرآن يترسـمه ويسـتهديه ثـم لا يحاول اللحاق به إذ كان تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أما محمد فهو وإن كان خاتم الأنبياء يعترف بأنه بشر يوحي إليه ويقـول فى بعض ما روى عنه " ... إنما أنا أبشر " (٢)، وهذا القول لا يصدر عن إنسـان يدعى ما ليس فى طوقه ، بل يقولـه مؤكداً طابع البشرية فى نفسه ، وحسبه أن يكون بيانه أرقى بيان بشري ، وأن المبدعين من بني الإنسان إذا قـيس بيـانهم ببيانه جاء أدبه النبوي مجلياً وجاءوا لاحقين " . (٣)

وعليه " ... فكلام محمد علي إبداعه لا يمكن أن يشتبه بكلام القرآن على إعجازه ، ومن قرأ القرآن قراءة متصفة لا تميل إلى هوى ثم قرأ الحديث النبوي قراءة منصفة لا تميل إلى هوى كذلك ، وكان لديه بصر بأساليب الفصحى ونظمها البلاغي لن يقول إن القرآن من عند محمد ، فبينه وبين كـلام محمـد بـون أي بون"(٤) . أ.هـ

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٧٦ .
(٢) البلاغة النبوية ، د/ محمد رجب البيومي ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ن : الدار المصرية اللبنانية .
(٣) البلاغة النبوية ، د/ رجب البيومي ، ص: ٣٠٤ .
(٤) السابق : ٣٠٤ .

المبحث الثالث

سمت البيان فيما اتسم به جواب النبي

من استيفاء الأقسام

من سمات البيان النبوي عند الرافعي : الخلوص ، والقصد ، والاستيفاء...[١]

ــ أما الخلوص فذلك يعني النفاذ فى اللغة وأسرارها وضعاً وتركيباً . [٢]

ــ وأما القصد والإيجاز والاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى فى ألفاظه، ومن طبيعة الألفاظ فى معانيها ... فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية . [٣]

ــ وأما الاستيفاء فهو الذى يخرج به الكلام ــ على صدق فضوله وإحكامه ووجازته ــ مبسوط المعنى بأجزائه ليس فيها خراج ولا إحالة ولا اضطراب ، حتى كأن تلك الألفاظ القليلة إنما ركبت تركيباً على وجه تقتضيه طبيعة المعنى فى نفسه ، وطبيعته فى النفس ، فمتى وعاها السامع واستوعبها القارئ تمثل المعنى وأتمه فى نفسه فى حسب ذلك التركيب ... " . [٤]

والنبي ــ ﷺ ــ إذ يلجأ إلى هذه الظاهرة ــ أي : ظاهرة استيفاء أجزاء المعنى فإنه يلجأ إليها " ... لتتشرب النفوس هديه الكريم ، وليس كالحصر والتقسيم والتحديد ما يعين على ذلك ، سواء شمل هذا الحصر دعائم الدين وأركانه ومبادئه ، أم فضائله وسننه ، وسواء اتجه الكلام إلى عالم الأخلاقيات والمثل أم عالم الواقع الملموس " . [٥]

---

(١) ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٨٢ .

(٢) السابق ٢٨٢ .

(٣) السابق ٢٨٢ .

(٤) ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٨٢ .

(٥) السمات البلاغية فى بيان النبوة ، د/ صباح ، ص: ٤١٨ .

وهذا ما تجده فيما أخبر به ــ ﷺ ــ من أشراط الساعة؛ حيث ذكر الأشراط فى قوله ــ ﷺ ــ وسأخبرك عن أشراطها بلفظ الجمع ، وأقله ثلاثة على الأصح ، ولم يذكر من الأشراط إلا شَرَطَيْنِ [١] : هما : " أن تلد الأمه ربتها"، " وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون فى البنيان " .

وقد أجاب الكرماني بعدة أجوبه منها ، وأنه قد تستقرض القلة للكثرة والعكس ، أو لفقد جمع الكثرة للفظ الشرط ، أو لأن الفرق بالقلة والكثرة إنما هو فى المنكرات لا فى المعارف . [٢]

وقد تعقب هذا ابن حجر بقوله : " وفى جميع هذه الأجوبة نظر " ، "والجواب المرضى ــ عنده ــ أن المذكور من الأشراط الثلاثة وإنما بعض الرواة اقتصر على اثنين منها ؛ لأنه هنا ذكر الولادة والتطاول ، وفى التفسير ذكر الولادة وترؤس الحفاة " [٣] ، وذلك فى قوله ــ ﷺ ــ : " ... إذا ولدت الأمه ربتها فذاك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذلك من أشراطها " . [٤]

وعليه فإن الأشراط ثلاثة :

ــ إذا ولدت الأمه ربتها .

ــ وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون فى البنيان .

ــ وأن ترى الحفاة العراة رؤوس الناس .

وعليه فقد استوفت القسمة حقها فى كلامه ــ ﷺ ــ وجاءت " ... فى غاية الحسن ، ومنتهى الجودة ، وروعة الإتقان " [٥] . انتهى

---

(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر ١ / ١٢١ .

(٢) الكواكب الدراري فى شرح صحيح البخاري للكرمائي ١ / ١٩٨ ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

(٣) فتح الباري لابن حجر ١ / ٥٣٤ .

(٤) السابق ٨ / ٥١٣ .

(٥) من روائع البديع فى القرآن الكريم ، د/ أحمد عبد المجيد محمد خليفة ، ص: ١٦٧ ، مكتبة الآداب القاهرة .

المبحث الرابع

سمت البيان فيما أشكل فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز (*)

" ... الإيمان فى اللغة : التصديق مطلقاً ، وفى الشرع : التصديق بقواعد الشرع ، والإسلام فى اللغة : الاستسلام والانقياد ، ومنه قولـــه تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ (**) ، وفى الشرع : الانقياد فـــى الأفعال الظاهرة الشرعية ... " . (١)

وهذا إن دل فإنما يدل على أن لكل منهما حقيقة لغوية وحقيقة شرعية ، كما أنهما أيضاً حقيقتان متباينتان ، والدليل على ذلك " أن حديث جبريل ــ عليـــه السلام ــ جاء على الوضع الأصلي بالتفرقة بين الإيمان والإسلام " . (٢)

وهذا مما يؤذن بتغايرهما ، وبه جزم الإمام أحمد ــ رضى الله عنه ــ.(٣)

ــ وقد أشكل هذا بما بين لوفد عبد القيس ، حيث فسر الإيمان بما فســـر به الإسلام (*) ، ومع ما دلت عليه الآية الكريمة أن الإسلام هو الدين (**) ، وبما

(*) الحقيقة اللغوية : " الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب" ، والمجـــاز اللغوي : " الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب علـــى وجـــه يصح مع قرينة عدم إرادته " الإيضاح ٣ / ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(**) الحجرات : ١٤ .

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخاري للعيني ١ /٢٩٠ ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـــ / ١٩٧٩م .

(٢) السابق : ٢٩٠ .

(٣) ينظر : فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٥ .

(*) " عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن وفد عبد القيس قدموا على رسول الله ــ ﷺ ــ فأمرهم بالإيمان ، ثم قال : أتدرون ما الإيمان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم " معالم السنن للإمام الخطابي ٤ / ٣٢١ ، المطبعة العلمية حلب ، الطبعة الأولى ١٣٥١هـــ / ١٩٣٢م .

(**) فى قولـــه تعالى : " إن الدين عند الله الإسلام " آل عمران : ١٩ .

دل عليه خبر أبي سفيان أن الإيمان هو الدين (***) ، فاقتضى ذلك كله أن الإسلام والإيمان أمرٌ واحداً . (١)

فهذا محصل كلام المصنف كما يقول ابن حجر ، وبه جزم المزني صاحب الإمام الشافعي . (٢)

ــ والقول فى ذلك ما قال ابن حجر : " ... والذى يظهر من مجموع الأدلة أن لكل منهما حقيقة شرعية كما أن لكل منهما حقيقة لغوية ، لكن كل منهما مستلزم للآخر بمعنى التكميل له ، فكما أن العامل لا يكون مسلماً إلا إذا اعتقد ، فذلك المعتقد لا يكون مؤمناً كاملاً إلا إذا عمل ، وحيث يطلق الإيمان فى موضع الإسلام أو العكس ، أو يطلق أحدهما على إرادتهما معاً فهو على سبيل المجاز ويتبين المراد بالسياق ، فإن وردا معاً فى مقام السؤال حملا على الحقيقة، وإن لم يردا معا أو لم يكن فى مقام سؤال أمكن الحمل على الحقيقة أو المجاز بحسب ما يظهر من القرائن " . (٣)

ويضيف ابن حجر إلى ذلك قوله : " وقد حكى ذلك الإسماعيلي عن أهل السنة والجماعة ، قالوا إنهما تختلف دلالتها بالاقتران ، فإن أفرد أحدهما دخل الآخر فيه " (٤) .

وعلى هذا يبدو أن " ... النظم النبوي اعتمد على أسلوب الحقيقة المجردة فى بيان حقيقة الإسلام والإيمان لكونها أكثر تلاؤماً للمعنى المقصود ، وأدق

(***) فتح الباري لابن حجر١/ ١١٤ .
(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر ١/ ١١٤ .
(٢) السابق: ١/ ١١٥ .
(٣) فتح الباري ١ / ١١٥ .
(٤) السابق ١ / ١١٥ .

تحديداً له ، وأشد وضوحاً ، وأقوى كشفاً لـــه " . [١]

" ... أما فى بيان معنى الإحسان فقد عمد إلى التشبيه ؛ لأنه لمـــا كـــان الإحسان أمراً معنوياً ودرجة من درجات القرب وغاية كمال الإسلام والإيمـــان ، وثمرة معرفة الله ــ تعالى وخشيته فهو أعلى درجات العبودية ولا يصل إليـــه إلا الصفوة من المؤمنين ، كانت الصورة التشبيهية بما تمتاز به من وضوح وتقريب للمعنويات أوفق ما تكون للكشف عن معنى الإحسان ، وأكمل ما يمكـــن لتأديـــة الغرض المقصود " . [٢]

وأما " فى بيان أمارات الساعة " فقد " قصد الـــنظم إلـــى الكنايـــة ؛ لأن الكناية لما كانت قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي وما ذكر عن إمـــارات الساعة يحتمـــل معانـــي كثيـــرة ولا مانع من إرادة المعنى الحقيقـــي لكـــل إرادة مذكورة كانت الكناية أليق بالمعنى وأشبه به وأجـــدر " . [٣]

---

(١) بلاغة النظم في الحديث النبوي في صحيح مسلم ص : ٤٩ .
(٢) بلاغة النظم فى الحديث النبوي فى صحيح مسلم ، ص : ٤٩ .
(٣) السابق : ص٤٩ ، ٥٠ .

المبحث الخامس

سمت البيان فى تكرار ما جاء من سؤال جبريل وجواب النبي ـ ﷺ ـ

التكرار سنة من سنن العرب ، ومذهب من مذاهبهم "ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام " . (١)

وهو "... إنما يحتاج إليه ويحسن استعماله فى الأمور المهمة التى قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها " .(٢)

" وقد استخدم النبي ــ ﷺ ــ التكرار متأثراً فى ذلك بمنهج القرآن الكريم وسيلة لتأكيد المعاني وتثبيتها فى نفوس من يدعوهم إلى الدين ، ومن يعلمهم مبادئ الدين وأصول العقيدة ، فعن أنس ــ رضى الله عنه ــ أن النبي ــ ﷺ ــ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم عنه (*) ، فهدفه من التكرار تأكيد مضمون كلامه وليفهمه السامع ويتقنه ، كل ذلك إرادة الإبلاغ فى التعليم ، والزجر فى الموعظة " . (٣)

ــ وعلى هذا جاء التكرير فى الحديث الذى معنا ، وقد بدا فى صورتين :

الأولى : تكرير موضوعي ، ولا أدل على ذلك مما ورد " ... أن رجلاً فى آخر عمر النبي ــ ﷺ ــ جاء إلى رسول الله ــ ﷺ ــ فذكر الحديث بطوله ...

---

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق / السيد أحمد صقر ٢٣٥ ، دار التراث بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

(٢) بيان إعجاز القرآن ــ ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن الكريم ــ للخطابي تحقيق / محمد خلف الله أحمد ، د/ محمد زغلول سلام ، ص: ٥٢ ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

(*) فتح الباري لابن حجر ١ / ١٨٩ ، ن : دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ .

(٣) الحوار فى الحديث النبوي ، د/ عيد شبايك ، ص : ٢١٠ .

وكأنه إنما جاء بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين التى بلغها متفرقة فـــى مجلس واحد لتضبط " . (١)

الأخـرى : تكرير موضعي ، وذلك فى إعادة ذكر المسئول عنه فى جواب الإيمان بعد تقدم ذكره فى السؤال فى قولـــه ــ ﷺ ــ " أن تؤمن بالله " ، والـــذى ذهب فيه الطيبي إلى دفع توهم تلك الإرادة فى قولـــه : " هذا يوهم التكرار وليس كذلك " ، وذلك بناءً على أن قولـــه ــ ﷺ ــ " أن تؤمن بالله " متضمن معنى : أن تعترف به ، ولهذا عداه بالباء ، أي : أن تصدق معترفاً بكذا " . (٢)

وتعقبه ابن حجر بقولـــه : " والتصديق ــ أيضاً ــ يعدى بالياء فلا يحتاج إلى دعوى التضمين " . (٣)

" وقال الكرماني : ليس هو تعريفاً للشئ بنفسه ، بل المراد من المحـــدود الإيمان الشرعي ومن الحد الإيمان اللغوي " . (٤)

وقد تعقبه ابن حجر ــ أيضاً ــ بقولـــه : " والذى يظهر أنه إنما أعاد لفظ الإيمان للاعتناء بشأنه تفخيماً لأمره ، ومنه قولـــه ــ تعالى : ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ (*) فى جواب : ﴿ **مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾ (**) (٥) .

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٩ .

(٢) ينظر : شرح المشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن للطيبـــي ، تحقيـــق د/ عبد الحميد هنداوي ٢ / ٤٢٤ ، ن : مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط أولـــى ١٤١٧هـــ / ١٩٩٧م ، وينظر : فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٥ .

(٣) فتح الباري ١ / ١١٧ .

(٤) الكواكب الدراري فى شرح صحيح البخـــاري للكرمـــاني ١ / ١٩٤ ، دار إحيـــاء التـــراث العربي، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـــ / ١٩٨١م .

(*) يس : ٧٩ .

(**) يس : ٧٨ .

(٥) فتح الباري ١ / ١١٧ .

ــ إن الذى دعا الطيبي إلى القول بدعوى التضمين هو دفع تــوهم تلــك الإرادة .

ــ والذى دعا الكرماني إلى ما ذهب إليه من وجه التغاير حتى لا يكــون تعريفاً للشئ بنفسه ، وذلك فيما أزعم ، بناءً على أن التكريــر قــد يــدعو إلــى السأم[١] إن لم يأت بجديد ويثير معنى فى نفس متلقيــه .. [٢]

ولكن هل غاب عن الطيبي ، والكرماني ما تنبه له صاحب فتح الباري من وروده فى القرآن الكريم وأن فيه إلى جانب الاعتناء بشأنه والتفخيم لأمره [٣]من دلالة التقرير كما هو مقرر فى تراث البلاغيين [٤]؟ ، وهل هناك أحوج إليه مــن تلك الحقائق وتثبيتها فى النفوس ؟ .

إن ذلك التكرار قد جاء فى القرآن ، " والقرآن قد نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهــام " . [٥]

ــ إن ذلك التكرار لابد وأن يكون لنكتة ، وعليه جاء فى ذلك الجــواب : "وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر " كما فى رواية مسلم ، وكأن الحكمة فى إعادة لفظ: " وتؤمن " عند ذكر البعث الإشارة إلى نوع آخر مما يؤمن به لأن البعث ســيوجد بعد وما ذكر قبله موجود الآن ، وللتنويه بذكره لكثرة من كان ينكره من الكفار ، ولهذا كثرة تكراره فى القرآن ، وهكذا الحكمة فى إعادة لفظ " تؤمن " عند ذكــر

---

(١) ينظر : البيان القرآني ، د/ محمد رجب البيومي ، ص : ١٩٠ ، الدار المصرية اللبنانيــة للنشر .

(٢) ينظر : نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي ، د/ عبد السلام عبدالحفيظ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ن : دار الفكر العربي .

(٣) ينظر : فتح الباري لابن حجر ١١٧/١ .

(٤) ينظر :الإيضاح ١/ ١٦٢ .

(٥) تأويل مشكل القرآن ، ص : ٢٣٥ .

القدر كأنها إشارة إلى ما يقع فيه من الاختلاف ، فحصل الاهتمام بشأنه بإعـادة " تؤمن " ثم قرره بالإبدال بقولـه خيره وشره ، حلوه ومـره ، ثـم زاده تأكيـداً بقولـه فى الرواية الأخيرة من الله " . (١)

" إن إعادة لفظ " وتؤمن " مع ذكر القدر " إما لبعـد العهـد" كمـا قـال الهروي، وإما " لشرف قدره وتعاظم أمره " ومن هنا "وقع فيه الاهتمـام ؛ لأنـه محار الأفهام ، ومزالُّ الأقدام ، وقد علم ــ عليه الصـلاة والسـلام ــ أن الأمـة سيخوضون فيه ، وبعضهم يتقونه فاهتم بشأنه " . (٢)

ــ ثم إن الحديث قد جاء فـى مقام التعلم ، والتكرار مبدأ مـن مبادئـه المهمة، ذلك أنه يعمل على الاحتفاظ بما يكتسبه الفرد من معلومات أو مهارات(٣)، كما أنه " ... يثبت المعلومات والمهارات ويساعد على جودة التذكر ".(٤)

هذا وإذا كان ما علمهم إياه رسول الله ــ ﷺ ــ قد صـار عـادة لـدى الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الـدين ، فـإن التكرار أيضاً ــ " .... مهم فى تثبيت العادات .... فإذا تكرر القيام بعادة ما مرات كثيرة استقرت العادة ، واستحكمت وأصبحت تحدث تلقائياً دون روية أو تفكير"(٥) . أ.هـ

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٨ .

(٢) مرقاة المفاتيح ١ / ٥٩ .

(٣) الحديث النبوي وعلم النفس ، د/ محمـد عثمـان نجـاتي ، ص : ١٨٥ ، دار الشـروق بالقاهرة ، الطبعة السادسة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

(٤) السابق : ١٨٥ .

(٥) الحديث النبوي وعلم النفس ، ص : ١٨٦ .

المبحث السادس

سمت البيان فيما تقدم من ذكر سؤال جبريل وجواب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ

بدأت رواية الإمام البخاري بتقدم ذكر " ... السؤال عن الإيمان لأنه الأصل ، وثنى بالإسلام لأنه يظهر مصداق الدعوى ، وثلث بالإحسان لأنه متعلق بهما " . (١)

بينما بدأت رواية الإمام مسلم ــ رضى الله عنه ــ بالسؤال عن الإسلام "... لأنه بالأمر الظاهر ، وثنى بالإيمان لأنه بالأمر الباطن ، ورجح هذا الطيبي لما فيه من الترقي " . (٢)

هذا ما أورده ابن حجر عن أئمة أهل العلم وصدره بلفظه " قيل " ، وعقب عليه بقوله " ولاشك أن القصة واحدة اختلف الرواة فى تأديتها وليس فى السياق ترتيب ، ويدل عليه رواية مطر الوراق فإنه بدأ بالإسلام ، وثنى بالإحسان، وثلث بالإيمان" وانتهى فى ذلك ــ وهو الحق عنده ــ إلى " ... أن الواقع أمر واحد والتقديم والتأخير وقع من الرواه ، والله أعلم " . (٣)

أما الإحسان فإن ما تقدم من الإيمان والإحسان فإنما هو حديث عن ماهية الإيمان والإسلام ، وما تلاهما من الإحسان إنما هو إحسان لماهية كل منهما . (٤)

وكذا الأمر بالنسبة للسؤال عن الساعة وجوابها فإن " ... الذى مضى من

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٧ .
(٢) السابق ١ / ١١٧ .
(٣) السابق ١ / ١١٧ .
(٤) ينظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٤ .

بيان ماهية الإيمان والإسلام والإحسان إنما هو إعداد لهذا اليوم وما بعده " .[١]

ــ ليس ذلك فحسب ، بل إنك لتلحظ فى البيان النبوي تقدم الجملة على الجملة فى الخبر الواحد لكونها الأصل وما بعدها مبني عليها . [٢]

ــ ففي جواب الإيمان قدم الإيمان بالله على الإيمان بالملائكة ، والإيمان بالملائكة على الإيمان بالكتب ، والإيمان بالكتب على الإيمان بالرسل .. ، "...ومناسبة الترتيب المذكور وإن كانت الواو لا ترتب ، بل المراد من التقديم أن الخير والرحمة من الله ومن أعظم رحمته أن أنزل كتبه إلى عباده ، والمتلقي لذلك منهم الأنبياء ، والواسطة بين الله وبينهم الملائكة " . [٣]

ــ وفى جواب الإسلام تقدم قوله ــ ﷺ ــ فى رواية الإمام البخاري : "أن تعبد الله " على قوله ــ ﷺ ــ " وتقيم الصلاة ... إلخ " ، " ... والرسول ــ ﷺ ــ هنا يشرح حقيقة الإسلام ، وأصلها التعبد الذى يجب أن يكون ملازماً لبقية الفرائض ، فالصلاة مشوبة بالتعبد والتذلل والتضرع ... ، وكل هذا واجب فى الزكاة ، فلابد أن تقع على الوجه الشرعي ، وأن تكون مصحوبة بالرجاء والخشوع والإخلاص ... " ، وكذا الأمر فى الصيام والحج . [٤]

وكذا الأمر فى رواية الإمام مسلم ــ رضى الله عنه ــ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ..إلخ ، وأن حكم الإسلام يثبت فى نطق العبد بالشهادتين ، ثم أضيف إلى ذلك أربعة أركان الأخرى ... لكونها أظهر

---

(١) السابق ٢٣٦ .
(٢) الحوار فى الحديث النبوي ، د/ عيد شبايك ، ص : ١١٠٩ .
(٣) فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٨ .
(٤) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٣ .

شعائر الدين وأعظمها شأناً ... " [١] ، وعليه " ... فإن تقديم الشـهادتين علـى سائر الأركان مقصود به تحصيل الإسلام بهما ، وباقي الأركان مبنـي عليهمـا ، مشروط بهما ، وثنى بالصلاة لأنها عماد الدين والفارق بين من أسلم ومـن لـم يسلم ، ولأنها تتكرر كل يوم وبعدها ذكر الزكاة لأنها قرين الصلاة فى أكثر مـن موضع فى القرآن الكريم ، ولأنهـا تجـب فـى المـال سـواء أكـان المسـلم مكلفاً أم غير مكلف ، ثم الصوم لأنه يتكرر كل عام ، أما الحج فإنـه يجـب فـى العمر مرة واحدة ، ويشترط أداؤه بالاستطاعة والقدرة " . [٢]

ـ أما التقديم فى الكلمة فى ذلك الجواب فذلك ما جاء مـن تقـديم بعـض المتعلقات على بعض فى قولـه ـ ﷺ ـ: "وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا".

يقول الهروي : " سبيلا " تمييز عن نسبة الاستطاعة فأخر عـن الجـار والمجرور ليكون أوقع ... ، وتقديم " إليه " عليه للاختصاص ، ذى : سبيلا مَّـا على أي وجه كان قريباً أو بعيداً ونحوهما بشرط انتهائه إليه لا إلى غيره ".[٣]

ـ وسواء أكان التقديم لتلك الإفادة كما هنا أم لغيرها على نحو ما سـبق فإنه " ... لا يمكن أن يحدث فى البيان النبوي كيفما اتفق ، وإنما هي خطة بيانية صادقة فى التعبير عن المعاني المرتبة فى النفس على نظام العقل مناسبة لغرضها ومقامها الخاص " [٤] الذى وردت فيه . أ.هـ

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١ / ١٤٨ .

(٢) الهدية السعدية شرح الأربعين النووية ، د/ محمد السعدي فرهود ١ / ٤٣ ، دار الطباعـة المحمدية ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

(٣) مرقاة المفاتيح ١ / ٥٤ .

(٤) السمات البلاغية فى بيان النبوة ، د/ صباح دراز ٢٠٤ .

المبحث السابع

سمت البيان فيما أوجز وأطنب من سؤال جبريل وجواب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ

" الإيجاز : تقليل الكلام من غير إخلال بـالمعنى ... ، والإيجـاز علـى وجهين : حذف وقصر ، فالحذف : إسقاط كلمة للأجتزاء عنها بدلالة غيرها مـن الحال أو فحوى الكلام ، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى مـن غير حذف " . (١)

والإيجاز الذى " ... هو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة غالب علـى أسلوب الرسول ؛ لأن الإيجاز قوة فى التعبير وامتلاء فى اللفـظ ، وشـدة فـى التماسك ، وهذه صفات تلازم قوم العقل ، وقوة الروح ، وقوة الشـعور ، وقـوة الذهن ، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكـون فـى الرسـول ـ ﷺ ـ ، ومـن هنا شاعت جوامع كلمه فى خطبه وأحاديثه حتى عدت من خصائصه " . (٢)

وقد اجتمعا أي الحذف والقصر فى جواب الإحسان فى قولـه ـ ﷺ ـ " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

ففي قولـه ـ ﷺ ـ : " فإن لم تكن تراه " إلخ ، جواب شرط محـذوف تقديره : فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك ، والذى لا يصح أن يكون قولـه ـ ﷺ ـ "فإنه يراك " جزاء للشرط المذكور ؛ لأنه ليس مسـبباً عنه .. ، ذلك أن عدم رؤية العبد ليست سبباً لرؤية الله تعـالى ـ بـل إن الله ـ

---

(١) النكت فى إعجاز القرآن الكريم للروماني ـ ضمن ثلاث رسائل ـ تحقيق / محمد خلـف الله أحمد ، د/ زغلول سلام ، ص : ٧٦ ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

(٢) وحي الرسالة ، أحمد حسن الزيات ، ٣ / ١٠٧ ، ن : دار الثقافة بيروت ، ط: السادسـة ١٩٧٣م .

تعالى ــ يراه سواء وجدت من العبد رؤية أو لم توجد . (١)

ــ أما الإيجاز بالقصر فذلك بناءً على أن " .. هذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين ، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين ، وهو عمدة الصديقين ، وبغية السالكين ، وكنز العارفين ، ودأب الصالحين ، وهو من جوامع الكلم التى أوتيها ــ ﷺ ــ " . (٢)

" ... ولا عجب فى هذا ، ذلك أن اجتماع الكلام وقلة ألفاظه مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه فى غير تعقيد ولا تكلف ، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه ، وأن يكون ذلك عادة وخلقاً يجرى عليه الكلام فى معنى معنى ، وفى باب باب شيء لم يعرف فى هذه اللغة لغيره ــ ﷺ ــ " . (٣)

كما أن اشتمال هذا النوع من الإيجاز على سابقه فى أسلوب واحد من سمت البيان الذى لم يعهد لغيره ــ ﷺ ــ فى هذه اللغة ، ولم لا ونحن نعلم " ... أنه لم يكن فى العرب ولن يكون فى من بعدهم من ينفذ فى اللغة وأسرارها وضعاً وتركيباً ويستعبد اللفظ الحر ، ويحيط بالعتيق من الكلام ، ويبلغ من ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه ــ ﷺ ــ " . (٤)

" .. على أنه لا يؤخذ مما قدمنا أنه ــ ﷺ ــ لم يكن يطيل الكلام إن رأى وجهًا للإطالة ، فقد كان ربما فعل ذلك إن يكن منه بد " . (٥)

---

(١) ينظر : عمدة القاري ١ / ٢٨٧ .
(٢) فتح الباري لابن حجر ١ / ١٢٠ .
(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ٢٤٩ .
(٤) السابق ٢٨٢ .
(٥) السابق ٢٥ ، ٢٦ .

وعليه فإن " .. هذه الجملة الشرطية " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " شرح لقولـــه " كأنك تراه " لأن معناها أنك لا تراها ولكنك فى حال من يراها ، فإذا كان قولك لا تراه مما يفتر حافز الإحسان ، فإن ثمة حافزاً آخر أقوى وهو أنه يراك ، وهو معك أينما كنت ويعلم سرك ونجواك ، فإن لم تبادر وتستحضر نفســك فــى حضرته وتعطي هذه الحضرة جلالها وحقها فى المهابة والتقديس ، فــاعلم أنــه سبحانه ــ يراك ويسمعك ــ ولا تخفي عليه منك خافية " ، ومادام الأمر كذلك فخذ حذرك لأن هذا مقامك أبدا تحت عينه وفى قبضتــه " . (١)

ــ ومما هو مقرر ومعلوم أن الإيجاز والإطناب ظاهرتان متباينتان ، وذلك أن مبنى الإيجاز على تقليل اللفظ من غير إخلال بالمعنى (٢) ، أما الإطناب فهــو " زيادة اللفظ على المعنى لفائدة " . (٣)

وبناءً عليه فإن من غلب عليه الإيجاز وأراد أن يطنب فإنما يصيب كلامه بالملل ، كما أن من غلب عليه الإطناب وأراد أن يوجز فإنما يصيب كلامه بالخلل، لكنّ أسلوباً واحداً يوجز فى غير إخلال كما يطنب فى غير إملال شيء لم يعهد بعد كلام الله ــ تعالى ــ لغيره ــ ﷺ ــ فى هذه اللغة .

ــ كما أن ــ ههنا ــ أمراً آخر ينبغي التنبيه عليه ، وهو أنــه إذا كــان الإيجاز إيجاز موضوع لا إيجاز عبارة ، وكذلك الإطناب كما ذهب إلى ذلك د/رجب البيومي ــ رحمه الله ــ (٤) أدركنا أنهما لا يجتمعان فى كلام واحد بعد كلام الله إلا

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٦ .

(٢) النكت : ٧٦ .

(٣) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق د/ أحمد الحــوفي ، د/ بــدوي طبانة ، ٢ / ٣٤٤ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

(٤) البيان القرآني ، د/ محمد رجب البيومي ، ص : ٨٥ ، الدار المصرية اللبنانية للنشر .

فى كلام رسول الله ... ولا أدل على ذلك مما جاء فى أجوبة رسول الله :

فـ " ظاهر السياق فى جواب الإيمان يقتضي أن الإيمان لا يطلق إلا على من صدق بجميع ما ذكر ـ كما يقول ابن حجر ـ وقد اكتفى الفقهاء بإطلاق الإيمان على من آمن بالله ورسوله ، ولا خلاف أن الإيمان برسول الله المراد به الإيمان به وبما جاء به عن ربه فيدخل جميع ما ذكر والله أعلم " . (١)

ويقول الهروي : " فإن قلت ما فائدة ذكر ما بعد الرسل وما قبلهم مع أن الإيمان بهم مستلزم للإيمان بجميع ما جاءوا به ؟ قلت : التنبيه على الترتيب الواقع ، فإن الله تعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول لمعرفة المبدأ والمعاد ، وأن الخير والشر يجريان على العباد بمقتضى ما قدره وقضاه وأراده ".(٢)

ـ وكذا الأمر فى جواب الإسلام فإنه : " ... فى الظاهر ثبت بالشهادتين ، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها ... " . (٣)

وبناءً عليه فإذا نظرنا إليه من جهة ما زاد على الشهادتين فهو من باب الإطناب ، وإذا نظرنا إليه من جهة اقتصر عليه دون ما جاء فى رواية " سليمان التيمي " وتحج البيت ، وتعتمر ، وتغتسل من الجنابة ، وتتم الوضوء " (٤) فهو من باب الإيجاز .

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٩ .
(٢) مرقاة المفاتيح ١ / ٥٨ .
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١ / ١٤٨ ، المطبعة المصرية .
(٤) عمدة القاري العيني ١ / ٢٨٤ .

ــ وكذا الأمر فى جواب الساعة ، فإذا نظرنا إليه أنه لم يذكر من الأشراط إلا شَرَطَيْنِ أو ثلاثة (*) فهو من باب الإيجاز ، وإذا نظرنا إليه من جهة ما تضمن من " ... زيادة على السؤال للاهتمام بذلك إرشاداً للأمة لما يترتب علـى معرفـة ذلك من المصلحة " (١) فهو من باب الإطناب ، " وهكذا يتناول رسول الله ــ ﷺ ــ القضية الواحدة فيسوقها فى إطار من الإيجاز فتكون فى قمة البلاغة ، ويصوغها فى ثياب من الإطناب ، فتجيء فى أنصع بيان " (٢) . أ.هـ

(*) مما ورد ذكر فى هذا الحديث مما هو معتاد والذى يضاف إليه " رفع العلم ، وظهور الجهل ، وكثرة الزنا ، وشرب الخمر ، وغير معتاد كالدجال ، نزول عيسى ــ عليـه السـلام ــ ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والدابة ، وطلوع الشمس مـن مغربهـا (*) " ، " .. وانكـدار النجوم ، وتسيير الجبال ، وزلزلة الأرض ، وانفطار السماء ، وانتثار الكواكب .. إلى غيـر ذلك مما حدث به القرآن " (**) .

(*) شرح صحيح مسلم المسمى إكمال إكمال المعلم للأبـي ١ / ٧٠ ، دار الكتـب العلميـة ، بيروت .

(**) الهدية السعدية فى شرح الأربعين النووية ، أ.د/ محمد السعدي فرهـود ١ / ٥٧ ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

(١) فتح الباري لابن حجر ١ / ١٢٤ .

(٢) البيان المحمدي د/ مصطفى الشكعة ٧٢١ .

المبحث الثامن

سمت البيان فيما تناسب من سؤال جبريل وجواب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ

التناسب " ... علم شريف قلَّ اعتناء المفسرين به " . (١)

" ... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضه آخذاً بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " . (٢)

ـ بيد أن هذا وإن تحقق فى البيان النبوي بصفة عامة فإنه لا يقع فى وهم وإن عظم أن ذلك لا يتحقق فى الحديث الذى معنا وما على شاكلته لجمعه ـ فى الظاهر ـ بين أسئلة وأجوبة كل منها من وادٍ مختلف ؛ ذلك أن جبريل ـ عليه السلام ـ جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين التى بلغها متفرقة فى مجلس واحد لتضبط . (٣)

كما أن من سمت البيات النبوي ـ على نحو سمت البيان القرآني ـ جمعه بين الأحاديث المختلفة المعاني المتباعدة الأزمنة فى حديث مسترسل . (٤)

وهذا مالا تجده على أتمه ـ بعد كلام الله ـ إلا فى كلام رسول الله ـ ﷺ ـ ، وعلى هذا يبدو وجه الربط بين سابق كل سؤال وجواب ، ولاحقه ، والذي أبان عنه بعض الدارسين المحدثين فى قوله : " ... الترتيب والتدرج فى

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطي ٢ / ١٠٨ ، ن : المكتبة الثقافية بيروت ، لبنان ١٩٧٣م .

(٢) السابق ٢ / ١٠٨ .

(٣) فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٩ .

(٤) ينظر : النبأ العظيم ، للدكتور / محمد عبد الله دراز ، ص : ١٤٥ ، ٢١٦ ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الطبعة السابعة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

السؤالين ــ أي الإيمان والإسلام ــ واضح ؛ لأن الإيمان هو الأصل والقاعـدة ، وهو الذى يثمر الانقياد والاستسلام ، وكأنه بمثابة الحقيقة الفكرية والعلمية التى يؤسس عليها العمل ؛ لأن العمل من غير فكر مؤسس عليه ضرب من الطـيش ، والفكر من غير عمل يبرزه ويترجمه ضرب من الوهم ، والأصلان اللذان تقـوم عليهما حركة الوجود وحركة المجتمعات الواعية والإنسان الـواعي همـا العلـم والعمل ... " . (١)

ــ وعلى هذا يبدو أن " ... الصلة بين السؤال الأول والثاني ــ على مـا ذكر ــ أن الثاني مرتب على الأول ، والأول استحضار القاعدة الأساسـية التـى لاتصلح العبادة إلا بها ، أما السؤال الثالث ، وهو : " ما الإحسان ؟ " فهو سـؤال راجع إلى السؤالين السابقين ، لأن الإحسان يكون فى الاعتقاد كمـا يكـون فـى الانقياد " . (٢)

" ثم يأتي السؤال الرابع : " متى الساعة ؟ " وينتقل هذه النقلة الكبيـرة ، ويتخطى الحياة كلها ، ويقف بنا على شاطئ نهايتها ، كنا مع الاعتقاد ، والانقياد، والإحسان ، والآن مع النفخة التى ينتهي بها كل شئ ، وهذا رباط وثيق بين هذا السؤال والذى قبله ؛ لأن الذى مضى من بيان ماهية الإيمان والإسلام والإحسـان إنما هو إعداد لهذا اليوم وما بعد هذا اليوم ، وكأن ذكر الساعة إنما هو ذكر للذى كان له الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، وكلمة الساعة معناها : القيامة ، ويدخل فيها أجل كل ذى أجل ؛ لأن من مات فقد قامت قيامته ، وكأنما نفخ له فى الصور، وهذا السؤال يستدعى صور القيامة وأهوالها من مثل قولـه ــ تعـالى : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ**

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣١ .

(٢) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٢ .

الوَاقِعَةُ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (*) راجع وتأمل : ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (**) ، وكأن الإيمان ، والإسلام والإحسان سبيل النجاة ، وسفينة الانقياد فى بحر هذا الهول الأعظم " . (١)

ولا يقتصر التناسب على هذا النوع من الترتيب ، بل إنه ليتجاوز هذا إلى الترتيب الواقع بين المفردات ...

ومبني ذلك عند أهل العلم على " ... أن الروابط والعناصر اللفظية لا توجب ترتيباً فى كل موضع ، وإنما هناك وجوه أخرى ومراتب معتبرة تتنزل وفقاً لمعانيها ، فيحسن معها التوالي ووقوع بعضها فى إثر بعض " . (٢)

يقول ابن حجر : "... ومناسبة المذكور ــ أي فى جواب الإيمان ــ وإن كانت الواو لا ترتب أن الخير والرحمة من الله ، ومن أعظم رحمته أن أنزل كتبه إلى عباده ، والمتلقي لذلك منهم الأنبياء ، والواسطة بين الله وبينهم الملائكة ".(٣)

ثم إن من التناسب ما يكون " فى تأليف العبارات " ، وذلك إنما يكون " بتخير الألفاظ ثم نظمها فى نسق خاص " . (٤)

(*) الحاقة : ١٣ ــ ١٨ .

(**) الأعراف : ٢٠٤ .

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) التناسب فى تفسير الإمام الرازي ، دراسة فى أسرار الاقتران ، د/ منال مبطى المسعودي، ص : ٦٦ ، مكتبة وهبة .

(٣) فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٨ .

(٤) التصوير الفني فى القرآن الكريم أ/ سيد قطب ، ص٨٧ ، دار الشروق ، الطبعة الرابعة عشرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

وذلك ما تجده فيما أجاب به ــ ﷺ ــ عما سئل عنه من الإسلام في قوله : " الإسلام : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ... إلخ " ، " أي : توحده ولا تشرك به شيئاً " . (١)

هذا وقد ذكر أهل العلم أن العبادة ــ ههنا ــ تحتمل معنيين :

الأول : معرفة الله والإقرار بتوحيده ، الثاني : الطاعة مطلقاً ...(٢)

والذى يعنينا ــ ههنا ــ أنه لم قال : " وأن تعبد الله " ، ولم يقل أن تعرف الله ، أو أن تطيع الله ... ؟ ، ذلك أنه يريد توحيداً ومعرفة ، وطاعة مصحوبة بالخشوع والتذلل والخضوع وذلك لا يكون إلا مع لفظ التعبد .

ــ وتبدو المناسبة في أن قال : " ولا تشرك به شيئا " ، ليؤكد تفرده ــ سبحانه ــ بهذه الصفة ؛ ذلك أن قوله : " أن تعبد الله " ، وإن لم يكن بأداة قصر فإن طبيعة المعنى تقتضي القصر ؛ لأنه لا يعبد إلا من يستحق العبادة ، ولا يستحق العبادة إلا الحي القادر الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ... ، كما أن فى قوله : " ولا تشرك به شيئاً " فائدة أخرى مؤكدة لذلك التفرد وهي " إحكام سداد مداخل الشيطان إلى النفوس ، ومسالك الشرك الخفي إليها ، والشرك الخفي يتولج إلى القلوب تولجاً هو أخفى من مسرى النَّفس فى النَفْس ، وهذا يفسد على المسلم كل شئ ، ويضيع كل شئ ؛ لأن الذى فى قبضته ملكوت كل شئ لا يجوز أن يشرك فى عبادته ، وهذه أكبر آفات الأعمال " . (٣)

وكذا الأمر فى أن قال : " وتقيم الصلاة " ، " ولم يقل : وتصلى" لأن ذلك

---

(١) مرقاة المفاتيح ١ / ٥٣ .
(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ١ / ١٦٢ .
(٣) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

"يعني أن تؤديها وتحفظ شروطها ، وتعدل أركانها ، وتداوم عليها " [١] ، وهذا لا يكون إلا مع لفظ الإقامة .

كما تبدو ــ أيضا ــ فى أن قال : " وتؤتي الزكاة " ، ولم يقل : وتـؤتي المستحقين أو الإمام الزكاة ... لموازنة العبارة السـابقة : "وتقـيم الصـلاة " ، والإشارة إلى أن المقصود إيتاء الزكاة ، أي : حصول الفعل نفسه ، فإنـه متـى حصل وقع حتماً على الفعل نفسه ". [٢]

وكذا فى أن أوثر " تقيم " مع الصلاة ، و " تؤتي " مـع الزكـاة ؛ وذلـك للإشارة إلى أنها ــ أي الصلاة ــ لا تعتبر شرعاً إلا بهذا التقويم " ، وهو " تقويم أركانها وفرائضها ، وسننها ، وأدائها " ، " وضـبط ركوعهـا ، وسـجودها ... إلخ"[٣] ، بخلاف الزكاة ، فإنه يكفي فيها مجرد إعطاء المال لمستحقيه دفعة واحدة ... ، ولهذا جاء التعبير القرآني مع " الزكاة " بلفظ الفعل [*] ، بينما جاء التعبير القرآني والحديث مع الصلاة بلفظ الإقامة [**] ، ولم يذكر ذلك فى الزكاة والصيام

---

(١) مرقاة المفاتيح ١ / ٥٤ .
(٢) ينظر : الهدية السعدية فى شرح الأربعين النووية د/ فرهود ، ص : ٤٠ .
(٣) ينظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٣ .
(*) فى قولـه ــ تعالى : " والذين هم للزكاة فاعلون " المؤمنون : ٤ .
(**) فى قولـه ــ تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " البقرة : ١١٠ .
يقول د/ السامرائي : " لم لم يقل:والذين هم للصلاة فاعلون ، كما قال : والـذين هـم للزكـاة فاعلون ، والجواب إن إخراج النصاب إلى مستحقيه كاف لأداء فريضـة الزكـاة ، ولـيس وراءه شئ يتعلق بها ، فإن لم يفعل فلا زكاة ، أما فعل الصلاة من قيام وقعود وركوع مـع هيئاتها الأخرى فليس بكاف ، بل ينبغي أن يكون مع ذلك خشوع وتدبر ، وحضـور قلـب وسنن وآداب تكمل هذه الأفعال الظاهرة وتنميها ، ولذلك قال ــ ﷺ ــ من صلاتك ما عقلت منها ، فاتضح الفرق بينهما " .
- لمسات بيانية فى نصوص من التنزيل ، د/ فاضـل صالـح السامرائـي ، ص : ١٤٢ ، ن: دار عمار الأردن .

والحج ؛ لأن الاعتبارات الشرعية فى الصلاة كثيرة منها : الأفعـال والأقـوال ، والطهارة ، والوضوء ، وطهارة الثوب والمكان ، ثم هي تكرر فى اليوم خمـس مرات ، وهي المفروضة ، ويضاف إليها السنن والنوافل ، والزكاة ليست كذلك ؛ لأن زكاة المال مع الحول ، وزكاة الزرع يوم حصاده ، ولهذا لازمت الإقامة كلمة الصلاة حتى لا يتسامح المصلى فى ضبط شئ من أحوالها مـع كثـرة التكـرار والملابسة [١] ، هذا مع ملاحظة " أنها لم تتكرر خمس مرات فى اليوم فحسـب ، وإنما هي أفعال واحدة من قيام وقراءة وركوع ، وسجود ... إلخ ، يتكرر مع كل ركعة ، وكل هذا قد يوقع فى التساهل والمسامحة فى شئ من هيئـات ركوعهـا أو سجودها ، أو قيامها ، فضلاً عن الإلف وما يورثه من غفلـة " . [٢]

ـ ثم فى أن أوتر التقييد بذلك الوصف وهو : "المكتوبة" مع الصلاة فى قولـه ـ ﷺ ـ : " وتقيم الصلاة المكتوبة [٣] والمفروضة " ، مع الزكـاة فـى قولـه ـ ﷺ ـ : " وتؤتي الزكاة المفروضة " . [٤]

وقد ذكر ابن حجر وجه التغاير بين القيدين فقال : " عبر بالمكتوبة للتفنن فى العبارة ؛ فإنه عبر فى الزكاة بالمفروضة ، ولإتباع قولـه ـ تعـالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً** ﴾ [٥] .

ولا خلاف بينه وبين العيني فـى أن " المـراد بهـا ـ أي الصـلاة ـ : المكتوبة كما صرح به فى رواية الإمام مسلم ، والذى ذكر ـ العيني ـ أن هـذا

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٣ .
(٢) السابق ٢٣٣ .
(٣) كما فى رواية الإمام مسلم .
(٤) كما فى رواية الإمامين البخاري ومسلم .
(٥) النساء : ١٠٣ ، فتح الباري لابن حجر ١ / ١٢٠ .

التقييد بذلك الوصف إنما هو للاحتراز عن النافلة ، فإنها وإن كانت من وظائف الإسلام فإنها ليست من أركانه ، فتحمل المطلقة هنا على المقيدة ، أما وصف الزكاة بالمفروضة فذلك للاحتراز عن الزكاة المعجلة قبل الحول فإنها ليست مفروضة حال الأداء " ، ويضيف : " وقيل : احترز عن زكاة التطوع فإنها زكاة لغوية " . (١)

ـ هذا والذى يراه البحث أن التفنن فى العبارة الذى ذكره ابن حجر أمر عام لا ينبغي أن يعول عليه إلا أن يبين عن جهة التفنن ، وعليه فلم يبق إلا أن يكون اتباعاً لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ (٢) .

وأما ما ذكره العيني من الاحتراز والذى صدره بلفظ قيل فذلك ما تلتقى فيه دلالة " المكتوب " مع " المفروض " ، وعلى هذا فلم يبق إلا أن يكون اختلاف الألفاظ موجباً لاختلاف المعاني(٣) ، وعليه يبدو وجه اختصاص كل منهما بما يليق به ؛ ذلك أن دلالة الغرض وما فيها من معنى القطع (٤) ، مما يتلاءم مع ما عليه حال الزكاة من اقتطاع مال امرئ مسلم وإعطائه لمستحقيه(٥) دفعة واحدة.

---

(١) عمدة القاري ١ / ٢٨٨ .

(٢) النساء : ١٠٣ .

(٣) ينظر : الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، تحقيق / حسام الدين القدس ، ص٦ ، دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) وذلك بناءً على كون " الفرض : قطع الشئ الصلب والتأثير فيه ، والفرض كالإيجاب لكن الإيجاب يقال اعتباراً بوقوعه وثباته ، والفرض بقطع الحكم فيه" المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، تحقيق/ وائل أحمد عبدالرحمن ٣٧٨، ن: المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

(٥) ينظر : الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة ، د/ محمد بكر إسماعيل ٤٥٥/١ ، دار المنار ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

أما الصلاة فإن دلالة الكتابة وما فيها من معنى الضم [١] مما يتلائم مع ما عليه حال الصلاة ، ذلك أن الصلاة فيها التسبيح والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، وتلاوة القرآن ، وفيها القيام ، والركوع ، والسجود ، والجلوس ... إلخ ، كل ذلك مما يتلائم مع ما عليه حالها من ضم أقوال وأفعال بعضها إلى بعض فى خشـوع وخضوع مفتتحة بالتكبير ، ومختتمة بالتسليم . [٢]

ـ ثم فى أن قال : " وتصوم رمضان " ؛ لأن القصـد ـ ههنـا ـ إلـى الفرض لا إلى النقل ، وإلا لما اختص ذلك الزمن بإيقاع ذلك الفعل عليه .

ـ كما تبدو المناسبة فى أن قال : " وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" و " الحج : لغة القصد ، وشرعاً قصـد بيـت الله فـى وقـت معـين بشـرائط مخصوصة"[٣] ، " والبيت : هو بيت الله الحرام ، فـ"أل" فيه للعهد ... أو هو اسم جنس غلب على الكعبة " ، والسبيل : الطريق الذى فيه سهولة ، وتستعمل فى كل ما يتوصل به إلى الشئ ... ، وتنكيره للعموم ، وتقديم إليه "عليه" للاختصاص ، أي : سبيلاً ما على أي وجه كان قريباً أو بعيداً ونحوهما بشرط انتهائه إليـه لا إلى غيره " . [٤]

---

(١) وذلك بناءً على كون " الكتب : ضم أديم إلى أديم بالخياطـة ... ، وفـى التعـارف: ضـم الحروف بعضها إلى بعض بالخط ، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعـض بـاللفظ " . المفردات للراغب الأصفهاني ٤١٥ .

(٢) ينظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحفاط المـالكي ، ٣٧٧/١ ، دار الفكـر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٣) ينظر : مرقاة المفاتيح ١ / ٥٤ .

(٤) السابق : ٥٤ .

ومما يلحظ ههنـــا ثلاثة أمور :

أولاً : ذلك التناسق بين هذا وسابقه ، وذلك ما يبدو فى أنه كما اختص ذلك الزمن بإيقاع الفعل عليه ، كذلك اختص ذلك المكان بأداء الحج إليه .

ثانيـاً : التقييد بذلك الشرط والذى أوثر فيه التعبير بـــ"إن" دون " إذا " ، وذلـك للدلالة على أن تلك الاستطاعة أمر نادر [١] وعزيز ، وكأنه ـ ﷺ ـ أتى بها لتتلائم هذه الندرة مع تلك القدرة ... ؛ بالإضافة إلى ما فيه من الحث والمبادرة إليه عند القدرة عليه .

ثالثـاً : أن الاستطاعة التى بها يتمكن المكلف من فعل العبادة مشروطة فى الكـل فكيف خص الحج بها ؟

هذا سؤال يورده الطيبي ويجيب عليه فيقول : " فإن قلت كيف خص الحج بالاستطاعة دون سائر الأركان الأساسية مع أن الاستطاعة التى يتمكن المكلفـون من فعل الطاعة مشروطة فى الكل ؟ أجيب بأن المعنى بهـذه الاسـتطاعة الـزاد والراحلة ، وكان طائفة لا يعدونها منها ويثقلون على الحاج فنهوا عن ذلـك ... أو علم الله ـ تعالى ـ أن ناساً فى آخر الزمان يفعلون ذلك فصرح تسهيلاً علـى العباد " . [٢]

ويضيف الهروي : " ... ولعل فى هذا حكمة ، وهي أن تكون حجة علـى الأغنياء التاركين للحج رأساً مع الله تعالى أعطاهم مالاً وأتانا " . [٣]

---

(١) ينظر : الإيضاح متن البغية ١ / ١٦٩ .
(٢) شرح المشكاة للطيبي ٢ / ٤٢٤ .
(٣) مرقاة المفاتيح ١ / ٥٤ .

ـ كما يذكر الدكتور / فرهود ـ رحمـه الله ـ أن : " هـذه الاسـتطاعة مشروطة فى الكل "... ولكنها قرنت بالحج وحده لعظم المشقة فيها دونها ".[١]

ـ أما وجه التناسب فى جواب الإحسان من جهة ترتيبه فذلك ما سبق فى مبحث تقديمه . [٢]

وأما من جهة تخير ألفاظه فذلك ما يبدو فى قولـه ـ ﷺ ـ : " ... أن تعبد الله كأنك تـراه ... " ، و " ... ولم يقل مثلاً : أن تكون كأنك ترى الله فـى صلاتـك أو فى ذكرك ، أو فى صومك وإنما عمد إلى العبادة التـى هـي الأمـر الجامع لهذا كله وهذا معنى من معاني جوامع كلمه ـ ﷺ ـ " . [٣]

على أن ثمة وجهاً آخر بين قولـه ـ ﷺ ـ : " أن تعبـد الله " ههنـا ، وبين قولـه : " أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا " فى جواب الإسلام هنالك ، ذلـك أنه " ... هناك جعل عبادة الله أصل ماهية الإسلام ، وجعل الإحسان ههنا إحساناً لهذه الماهية وهذا من البلاغة العالية ، والذى ترى فيه الاعتقاد والعمل يمـثلان حقيقة العبادة ، فليس هناك عبادة من غير اعتقاد ، وليس هناك اعتقاد صحيح لا يغرى بالعمل الصالح والانقياد ".[٤]

هذا والذى لاشك فيه أن المؤمن لن يرى ربه فى الدنيا ، وأن عائشـة ـ رضوان الله عليها ـ قالت فيما رواه البخاري "من زعم أن محمداً رأى ربه فقـد أعظم على الله الفرية "[*] ، والمطلوب : أن يتفرغ المؤمن فـى عبادتـه غايـة

---

(١) الهدية السعدية فى شرح الأربعين النووية ٤٦ .
(٢) البحث ص : .
(٣) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٤ .
(٤) السابق : ٢٣٤ .
(*) ينظر : فتح الباري لابن حجر ٦٠٨/٨ .

الإخلاص ، وتفرغ البال والخشوع حتى كأنه يرى ربه ، وكلمة " حتى كأنك تراه " من الكلام العالي والتى تقف بقلب المؤمن على ضفاف الخير والنور ، أنت لا ترى الله ، ولكنك تدخل فى ذكره وعبادته بقلبك كله ، وعقلك كله ، وحسك كله ، تسجد وتقترب ، ثم تسجد وتقترب حتى تكون كأنك تراه " . (١)

" وقولـــه ــ عليه السلام ــ فإن لم تكن تراه فإنه يـــراك ، لا يجـــوز أن يكون قولـــه " فإنه يراك " جزاء للشرط ، لأنه غير داخل فى خيره ، وذلـــك لأن الله يراك فى كل حال ؛ لأنه ــ سبحانه ــ لا تخفي عليه خافية ، وإنمـــا جـــواب الشرط محذوف والتقدير : " فإن لم تكن تراه فأحسن العبادة لأنه يراك " . (٢)

" وهذه الجملة الشرطية " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " شرح لقولـــه " كأنك تراه " لأن معناها أنك لا تراه ، ولكنك فى حال من يراه ، فإذا كان كونك لا تراه مما يفتر حافز الإحسان فإن ثمة حافزاً آخر أقوى ، وهو أنه يراك ، وهو معك أينمـــا كنـــت ويعلم ما توسوس به نفسك ، ويعلم سرك ونجواك ، فإن لم تبادر وتستحضر نفسك فى حضرته ، وتعطي هذه الحضرة جلها وحقها فى المهابة والتقديس فاعلم أنـــه ــ سبحانه ــ معك يراك ويسمعك ولا تخفي عليك منك خافية".(٣)

ــ ثم يأتي السؤال الرابع وهو قولـــه ــ عليه السلام ــ متى الساعة ؟ ، والمراد بالساعة ههنا ــ : القيامة ، وقال الزمخشري : سميت ساعة لوقوعهـــا بغتة ، أو لسرعة حسابها ، أو على العكس لطولها ، وهو تمليح كما يقـــال فـــى الأسود كافورا ولأنها عند الله ــ تعالى ــ على طولها كساعة من الساعات عنـــد الخلق " . (٤)

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٥ .
(٢) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٦ .
(٣) شرح أحاديث من صحيح البخاري ٢٣٦ .
(٤) عمدة القاري ١ / ٢٨٢ .

والسؤال ــ ههنا ــ عن " ... علم وقت الساعة بقرينة ذكـر " متـى " ، والعلم لازم للسؤال ؛ إذ معناه : أتعلم وقت الساعة فـأخبرني ؟ فهـو متضـمن السؤال عن علم وقتها " . (١)

ثم يأتي الجواب من سيدنا مولانا رسـول الله ــ ﷺ ــ بقولـه : " مـا المسئول عنها بأعلم من السائل " مصدراً بـ"ما" النافية ، بالإضافة إلى اقتـران " أعلم " بتلك " الباء " ، والتى هي " زائدة لتأكيد النفي " ، وهذا وإن كان مشـعراً بالتساوي فى العلم ولكن المراد التساوى فى العلم بأن الله ــ تعـالى ــ اسـتأثر بعلمها " . (٢)

هذا " ومساق الكلام يقتضي أن يقول : لست بأعلم بعلم السـاعة منـك " لكنه عدل ليفيد العموم ؛ لأن المعنى كل سائل ومسئول سيان فى ذلك " . (٣)

" ولما كان العلم بوقت الساعة المسئول عنه غير ممكن انتقل منـه إلـى ذكر أشراطها ، وهي علاماتها الدالة على اقترابها " . (٤)

هذا ولم يذكر النبي ــ ﷺ ــ من تلك الأشراط إلاّ شرطين :

الأول : أن تلد الأنة ربتها ، و " ... الرب : المالك ، وأتت علـى معنـى التسمية ليشمل الذكر والأنثى ، وقيل : كراهية أن يقول " ربها " تعظيمـاً للفـظ الرب، ولذا ورد لا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي " . (٥)

---

(١) السابق ١ / ٢٨٢ .
(٢) فتح الباري لابن حجر ١ / ١٢١ .
(٣) مرقاة المفاتيح ١ / ٦٢ .
(٤) فتح الباري لابن رجب ١ / ٢١٦ ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينـة المنـورة ، الطبعـة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
(٥) إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للأبي ١ / ٧١ .

الآخـر : " أن ترى الحفاة العراة ... إلخ " أي " ... أن ترى أهل البادية الذين كانت هذه صفتهم لتغلبهم ، والبسط عليهم يتطاولون ، أي : يتفاخرون فى البنيان " . (١)

وههنا سؤال يطرح نفسه فيقول : " ... الساعة كما ذكر الله ــ تعالى ــ شئ عظيم فأشراطها ينبغي أن تكون كذلك ، فالدجال وأخواته من ذلك القبيل ، فمنا وجه العظم فى أن تلد الأمة ربتها وتطاول الرعاء فى البنيان ؟ " . (٢)

ويجيب العلامة الأبي على ذلك فيقول :

" ... هو إما باعتبار ما يشعران به من تبدل الحال وتغيرها بانقلاب الأعزة أدلة كما فى جعلها كناية عن كثرة أولاد السرارى ، فإن الأمهات بعد عز التربية والحاجة إليهن فى ذلك صرن ذليلات بالسلاطة عليهن .

وإما باعتبار ما يشعران به من تناهي الحال المنذره بالانحطاط وقرب الساعة كما قال :

وعند التناهي يقصر المتطاول (*)

وإما باعتبار ما يشعران به من تغيير أحكام الله ــ تعالى ــ كما فى جعلها كناية عن بيع أمهات الأولاد ... " . (٣)

---

(١) إكمال إكمال المعلم ١ / ٧٢ .
(٢) إكمال إكمال المعلم ١ / ٧٢ .
(*) البيت لأبي العلاء المعري ، وصدره :
وإن كنت تبغى العيش فإبغ توسطا ...
ينظر : الإيضاح للخطيب القزويني متن البغية ٣ / ٣٩٠ .
(٣) إكمال إكمال المعلم ١ / ٧٢ .

وعلى كلٍّ فإنك : " إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي ـ ﷺ ـ على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية رأيته فى الأول مسدد اللفظ ، محكم الوضـــع ، جزل التركيب ، متناسب الأجزاء فى تأليف الكلمات ، فخم الجملة ، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه ، واللفظ وضريبه فى التأليف والنسق ، ثم لا ترى فيـــه حرفـــاً مضطرباً ، ولا نقطة مستدعاة لمعناها ، أو مستكرهة عليه ، ولا كلمة غيرها أتم منها أداءً للمعنى وتأتياً للسرد فى الاستعمال ، ورأيته فى الثانية حسن المعـــرض بين الجملة ، واضح التفصيل ، ظاهر الحدود ، جيد الوصف ، متمكن المعنـــى ، واسع الحيلة فى تصريفه ، بديع الإشارة ، غريب اللمحة ، ناصع البيان ، لا ترى فيه إحالة ولا استكراها ، ولا ترى اضطراباً ولا خصلاً ، ولا استعانة من عجـــز ، ولا توسعاً من ضيق ، ولا ضعفاً فى وجه من الوجوه " [١] . أ.هـــ

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ٢٧٠ ، ٢٧١ .

الخاتمـــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصـــلاة والســـلام علـــى خيـــر البريات، وعلى آله وصبحه الطيبين والطيبات والتابعين وتابعي التـــابعين ومـــن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـد ،،،

فبعد معايشة لهذا الحديث الشريف ومعاودة القراءة مرات ومرات لاح لى تناوله على تلك الطريقة التى سيق عرض البحث عليها ، وانتهى فى ذلك إلى ما يلي :

أولاً : أن سؤال سيدنا جبريل ــ عليه السلام ــ لم يأت بلفظ الخبـــر ، بـــل جـــاء بأداتين من أدوات الاستفهام على نحو ما سبق ذكره وتفصيله وانتهى إلى أن ذلك من سمت البيان الذى تنوع تبعاً لتنوع حال المسئول عنه .

ثانيـاً : عرض البحث لما جاء فى سياق أجوبة النبي ــ ﷺ ــ وأبان عن طريـــق سمت بيانه ــ ﷺ ــ عن سر عدوله فى بناء تركيبـــه ، وأن ذلـــك هـــو الملائم لما تقتضيه طبيعة المقام .

ثالثاً : جمع النبي ــ ﷺ ــ فى تلك الأجوبة بين كثيراً من فنون البلاغة المتنوعة :

ــ كجمعه بين ما جرى على مقتضى ظاهر حال المخاطب وما جرى على خلافه فى أسلوب واحد .

ــ وجمعه بين ما أوجز وأطنب فى المقام الواحد .

ــ وجمعه بين الأحاديث المختلفة المعاني المتباعدة الأزمنة فـــى حـــديث واحد مسترسل .

وأبان فى كل موطن عن سمت بيانه الذى تفرد به ــ ﷺ ــ من خلال هذا الحديث والذى لم ولن تلحق به بيانات أحد من البشر .

رابعاً : عرض البحث لما اقتبس النبي ــ ﷺ ــ من آي القرآن وأبان عن جهة تأثيره ، وسمة إبداعه وتجديده فى سياق أجوبته المختلفة .

خامساً : عرض البحث إلي سمت البيان فيما اتسم به جواب النبي ــ ﷺ ــ من استيفاء الأقسام وانتهى بعدما أفصح عما أُشْكِلَ أمره من جواب الساعة إلي أنه قد جاء في بيانه الشريف في غاية الحسن ، ونهاية الجودة ، وروعة الإتقان .

سادساً : عرض البحث لما أشكل فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فى لفظي : " الإيمان " و " الإسلام " وانتهى إلى أنهما ــ فى هذا الحديث ــ من وادي الحقيقة بدلالة من الاقتران .

سابعاً : نافش البحث آراء أهل العلم فى مبحث التكرير ، وانتهى إلى أن ذلك من سمت البيان النبوي على نحو سنن البيان " العربي " والذى تتلاءم فيه دلالة التوكيد مع ذلك التعلم الذى حرص أمين الوحي وخاتم الأنبياء ــ عليه الصلاة السلام ــ على تقريره فى هذا المقام .

ثامناً : عرض البحث لما تقدم من ذكر سؤال جبريل ــ عليه السلام ــ وجواب النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، وانتهى إلى أن ذلك التقديم لا يأتي فى كلام النبي كيفما جاء واتفق ، بل هو يأتي وفق خطة بيانية صادقة للتعبير عما فى النفس .

تاسعاً : عرض البحث ــ من خلال هذا الحديث ــ إلى سمت البيان فيما تناسب من سؤال جبريل وجواب النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، وانتهى فى

ذلك إلى أنه ــ ﷺ ــ لا يبارى فى الصنعة اللغوية ، أو البيانية ، سواء ما جاء منه على سبيل الترتيب أو التركيب .

عاشراً : ناقش البحث ما ذكر من وجه المغايرة بين التقييد بـذينك الوصـفين " المكتوبة مع الصلاة " و " المفروضة مع الزكاة " ، وانتهى إلى أن ذلـك من باب اختلاف الألفاظ الموجب لاختلاف المعاني .

التوصيات :

يوصي البحث بأمرين :

الأول : يوصي بدراسة مستقلة تتمثل فى " سمت البيان فيما اقتبس النبي من آي القرآن ، ودراسة تكشف عن جهة إبداعه وتجديده بعد الكشف عما تنـزل عليه من كتاب الله من جهة تأثيره .

الثاني : يوصي البحث بدراسة مستقلة ــ أيضاً ــ تقوم على تتبع سمت بيانه ــ ﷺ ــ فى الحديث الواحد لتكشف لنا عما تفرد به من جانب ، وما تضيفه إلى لبنات صرح البيان النبوي من جانب آخر .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم

إنه نعم المولى ونعم النصير

وصلى الله على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ

المصادر والمراجع

١ــ الإتقان فى علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت لبنان .

٢ــ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ، تحقيق / عبدالله المنشاوي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٣ــ الإيضاح للخطيب القزويني ، تحقيق الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٩م .

٤ــ البرهان فى علوم القرآن للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت .

٥ــ البلاغة النبوية ، د/ محمد رجب البيومي ، الناشر : الدار المصرية اللبنانية .

٦ــ بناء الجملة فى الحديث النبوي الشريف فى الصحيحين ، د/ عودة خليل أبو عودة ، ن : دار البشير ، الأردن عمان الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩١م .

٧ــ بيان إعجاز القرآن للخطابي ــ ضمن ثلاث رسائل ــ تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، د/ محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

٨ــ البيان القرآني ، د/ محمد رجب البيومي ، الدار المصرية اللبنانية للنشر .

٩ــ البيان المحمدي ، د/ مصطفى الشكعة ، الدار المصرية اللبنانية للنشر .

١٠ــ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق / السيد أحمد صقر ، ن : دار التراث القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

١١ــ التصوير الفني فى الحديث النبوي ، د/ محمد لطفي الصباغ ، ن : دار الكتاب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٨م .

١٢ــ التصوير الفني فى القرآن الكريم ، للأستاذ / سيد قطب ، ن : دار الشروق ، الطبعة الرابعة عشرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

١٣ــ التناسب فى تفسير الإمام الرازي دراسة فى أسرار الاقتران ، دكتورة / منال مطي المسعودي ، ن : مكتبة وهبة .

١٤ــ الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، د/ كمال عز الدين ، دار اقرأ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١٥ــ الحديث النبوي وعلم النفس ، د/ محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق بالقاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

١٦ــ الحوار فى الحديث النبوي ، تراكيبه وصوره ، د/ عيد محمد شبايك ، دار حراء بالقاهرة .

١٧ــ شرح صحيح مسلم للنووي ، المطبعة المصرية .

١٨ــ شرح صحيح مسلم المسمى إكمال إكمال المعلم للأبي ، دار الكتب العلمية بيروت .

١٩ــ شرح مشكاة المفاتيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي ، ن : مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط : أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢٠ــ الصاحبي ، أحمد ابن فارس ، ط : عيسى الحلبي .

٢١ــ صحيح مسلم بشرح النووي ، الناشر : المكتبة المصرية.

٢٢ــ عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمـــام العينـــي ، ن : دار الفكـــر ، ١٣٩٩هـــ / ١٩٧٩م .

٢٣ــ فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، تحقيق / عبد العزيز ابـــن بـــاز ، دار المعرفة ، بيروت لبنان .

٢٤ــ فتح الباري لابن رجب الحنبلي، ن : دار المعرفة بيروت.

٢٥ــ فتح الباري لابن رجب الحنبلي ، ن : مكتبة الغرباء الأثريـــة ، المدينـــة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ / ١٩٩٦م .

٢٦ــ الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق / حسام الدين القدســـي ، دار الكتب العلمية بيروت .

٢٧ــ فى ظلال القرآن ، أ/ ســـيد قطـــب ، دار الشـــروق ، الطبعـــة العاشـــرة ١٤٠١هـــ / ١٩٨١م .

٢٨ــ الكواكب الدراري فى شرح صحيح البخاري للكرماني ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـــ / ١٩٨١م .

٢٩ــ لسان العرب لابن منظور ، تحقيق عبدالله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، طبعة دار المعارف .

٣٠ــ لمسات بيانية فى نصوص من التنزيل ، د/ فاضل صـــالح الســـامرائي ، عمان الأردن .

٣١ــ المثل السائر ، ابن الأثير ، تحقيق / أحمد الحوفي ، بـــدوي طبانـــة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر

٣٢ــ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي، دار الفكر بيروت لبنان.

٣٣ــ المطول على التلخيص ، سعد الدين التفتازاني ، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

٣٤ــ معالم السنن للإمام الخطابي ، المطبعة العلمية بحلب ، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م .

٣٥ــ المعجم المفصل فى علوم البلاغة ، د/ إنعام عكاوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

٣٦ــ المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

٣٧ــ المفردات فى غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق / وائل أحمد عبد الرحمن ، ن : المكتبة التوفيقية القاهرة .

٣٨ــ من روائع البديع فى القرآن الكريم ، د/ أحمد عبد المجيد محمد خليفة ، مكتبة الآداب بالقاهرة .

٣٩ــ مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ، ابن يعقوب المغربي ، دار الكتب العلمية بيروت .

٤٠ــ النبأ العظيم ، د/ محمد عبد الله دراز ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الطبعة السابعة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٤١ــ نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي ، د/ عبدالسلام عبد الحفيظ، ن : دار الفكر العربي .

٤٢ــ النكت فى إعجاز القرآن للرماني ــ ضمن ثلاث رسائل ــ تحقيق / محمد خلف الله أحمد ، د/ زغلول سلام ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

٤٣ــ الهدية السعدية شرح الأربعين النووية ، د/ محمد السعدي فرهــود ، دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧هــ / ١٩٧٧م .

٤٤ــ وحي الرسالة ، أحمد حسن الزيات ، دار الثقافة بيروت الطبعة السادســة ١٩٧٣م .

٤٥ــ وحي القلم ، الرافعي ، دار الكتاب العربي بيروت .

الرسائل العلمية :

١ــ أسلوب الحوار فى صحيح البخاري خصائصه وتراكيبه وصــوره البيانيــة وأثره فى تجلية المعنى ، للباحث / بدر عبد العال أبو صــغير ، رســالة دكتوراه ، مخطوط بمكتبة كلية اللغة العربية بأسيوط رقم ١٩ .

٢ــ بلاغة النظم فى الحديث المروى فى صحيح مسلم ، للباحث / عبد البــاقي حسين، رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية اللغة العربية بأسيوط رقم٣٧.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	**المقدمة**	٤٥٩٧
٢	**أولاً** : رواية الإمام البخاري	٤٦٠١
٣	**ثانياً** : رواية الإمام مسلم	٤٦٠١
٤	مدخل إلى بلاغة الحوار في الحديث	٤٦٠٣
٥	**المبحث الأول** : سمت البيان فيما بنى عليه ذلك الحوار من سؤال جبريل وجواب النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ	٤٦٠٤
٦	**المبحث الثاني** : سمت البيان فيما اقتبس النبي ــ ﷺ ــ من آي القرآن .	٤٦١١
٧	**المبحث الثالث** : سمت البيان فيما اتسم به جواب النبي ــ ﷺ ــ من استيفاء الأقسام .	٤٦١٦
٨	**المبحث الرابع** : سمت البيان فيما أشكل فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز .	٤٦١٨
٩	**المبحث الخامس** : سمت البيان فى تكرار ما جاء من سؤال جبريل وجواب النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ .	٤٦٢١
١٠	**المبحث السادس** : سمت البيان فيما تقدم من ذكر سؤال جبريل وجواب النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ .	٤٦٢٥
١١	**المبحث السابع** : سمت البيان فيما أوجز وأطنب من سؤال جبريل وجواب النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ .	٤٦٢٨
١٢	**المبحث الثامن** : سمت البيان فيما تناسب من سؤال جبريل وجواب النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ .	٤٦٣٣
١٣	**الخاتمة**	٤٦٤٧
١٤	**المراجع**	٤٦٥٠
١٥	**فهرس الموضوعات**	٤٦٥٥